الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة سعيدة – الدكتور الطاهر مولاي–
كلية : الآداب واللغات والفنون
قسم : اللغة العربية وآدابها
التخصص : إدارة الأعمال

الالتزام في النقد الجزائري الحديث
محمد العيد آل خليفة – أنموذجا-

مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد ومناهج

إعداد الطالبتين:
بوعكة نجوى
هنون أمينة

إشراف الأستاذ:
عبيد نصر الدين

السنة الجامعية: 1440هـ–1441هـ/2019م–2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

"وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحسانا"

سورة الإسراء الآية 23

إلى نبع الحنان وسر الأمان والتي حملتني وهنا على وهن وأنارت لي حياتي بضيائها والدتي الكريمة حفظها الله وأطال في عمرها

إلى أبي فقيد قلبي الذي ذب جذوري في ارض العلم وساعدني في مسيرتي و أوصلني إلى بِرّ الأمان وإلى روحه الطاهرة رحمه الله واسكنه فسيح جنانه

كل الشكر والتقدير إلى أخواتي ثريا ، ليلى ، ريان، محمد أنار الله دربهم وسدد خطاهم

إلى كل الأحبة و الأصدقاء كل واحد باسمه

إلى كل من كان له الفضل في وصولي إلى هذه المرحلة من التعليم العالي

إليهم جميعا أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع

نجوى

إهداء

"وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحسانا"

سورة الإسراء الآية 23

أهدي هذا البحث المتواضع إلى والداي الكريمين حفظهما الله وأطال في عمرهما

إلى كل الأحبة و الأصدقاء كل واحد باسمه

إلى كل من كان له الفضل في تقديم يد المساعدة و لو بكلمة طيبة

إليهم جميعا أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع

أمينة

شكر

يقول عز من قائل في محكم تنزيله

بسم الله الرحمن الرحيم

" فاذكُرونِي أذكْركم َواشْكُروا لِي َولا تكفُرون" سورة البقرة الآية (١٥٢)

إن الشكر لله وحده والحمد لله الذي منَّ عليَنا بإتمام هذه البحث المتواضع

و مصداقاً لقوله صل الله عليه وسلم

" من لا يشكر الناس لا يشكر الله "

فإننا نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الدكتور عبيد نصر الدين الذي وجهنا وشجعنا لإخراج هذا العمل فله منا جزيل الشكر والعرفان والامتنان

كما نتقدم بخالص الشكر إلى الأستاذ بن احمد خليل الذي لم يبخل علينا بمساعداته وتوجيهاته المشجعة فكانت لنا عون وسند أدامه الله لخدمة العلم

مقدمة

شهد الخطاب الأدبي في العصر الحديث تحولات فكرية و معرفية منذ أن عرف العالم العربي و المغرب العربي عدة انكسارات ونكسات بدءا باحتلال الصهاينة وخسارة العرب لفلسطين بعد حرب 1967 و احتلال الغرب لدول المغرب العربي ، تأثر العديد من الآباء والنقاد بهذه النكبة فراحوا يبدعون من خلال فنون الأدب المتنوعة عن شعرهم اتجاه هذه المأساة التي حلت بالوطن العربي ،وهذا ما يؤكد التزام الشعراء وأدباء العرب بالقضية الوطنية والقومية ،وكذلك من بين الأحداث التي لفتت أنظار النقاد و الأدباء، حدث الثورة الجزائرية سنة 1945 التي من خلالها برز نقاد وأدباء جزائريين على الساحة الأدبية ، جعلوا من الثورة مصدر إبداع لهم ، فالثورة الجزائرية بكل ما تحمله من معاني ودلالات شكلت مادة خصبة لكثير من الأدباء والنقاد الجزائريين فقد كانوا من الداعين والممهدين لها والناقلين لأحداثها ووقائع المجتمع الجزائري في شكل نصوص أدبية مختلفة ، وهذا ما خلق التزام بين أدباء وخطاب النقد الجزائري في فترة الاستعمار وما بعد الاستقلال.

ومن بين الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع معرفة المفاهيم الفكرية لنقاد الجزائريين من خلال الإطلاع عن المؤلفات الأدبية للقصة و الرواية، و المقال، و المسرح التي تحاكي الوقائع التي عاشها المجتمع الجزائري أثناء وبعد الاستعمار الفرنسي وكان اختيارنا للشاعر "محمد العيد آل خليفة" بحكم إطلاعنا على مؤلفاته وخاصة ديوانه الشعري.

وتمثلت إشكالية هذا البحث في ما هو مفهوم الالتزام ؟ وما مدى التزام النقاد الجزائريين بأدب الالتزام ؟

اعتمدنا في دراستنا المنهج الوصفي التحليل على بحث نراه المنهج المناسب في المفاهيم المعرفية والفكرية للالتزام ،كما استعنا بالمنهج التاريخي للوقوف على المحطات التاريخية لأدب الثورة الجزائرية.

و لقد تشكل هذا الموضوع من فصلين ،الفصل الأول كان بعنوان المفاهيم المعرفية والفكرية للالتزام وخصصناه للتعريف اللغوي و الاصطلاحي للالتزام ، والالتزام في الفكر الغربي و العربي الحديث بحيث تناولنا فيه الالتزام في الفلسفة الاشتراكية و الوجودية بالإضافة إلى الالتزام في الأدب الإسلامي و الالتزام في النقد الجزائري الحديث و أهم النقد الذين تناولوا قضية الالتزام في الخطاب الأدبي الجزائري وفيما يخص الفصل الثاني فعنوانه بـ(الالتزام في خطاب محمد العيد آل خليفة) وعرضنا فيه السيرة الشخصية و الثقافية لمحمد العيد ، كما درسنا بعض قصائده الشعرية المختلفة المواضيع في الالتزام.

وقد اعتمدنا على بعض المصادر والمراجع التي شكلت مادة البحث ، والتي تمثل الدراسات السابقة التي تناولت موضوع الالتزام في درس النقدي الحديث ، فاعتمدنا على

- كتاب النثر الجزائري الحديث لمحمد مصايف
- الديوان الشعري لمحمد العيد آل الخليفة
- النقد الجزائري المعاصر من اللاسونية إلى الألسنية ، ليوسف وغليسي
- دراسات في الأدب الجزائري لأبي قاسم سعد الله

وفي الأخير و كعادة أي بحث فقد واجهتنا بعض الصعوبات خلال مشوارنا البحثي وعلى رأسها قلة المصادر والمراجع خاصة الحديثة منها التي تناولت الالتزام ، صعوبة استسقاء المعلومة المناسبة المتعلقة بهذا الموضوع كونه جزء من دراسات النقد الاجتماعي.

وفي الأخير لا ننسى ما بذله الدكتور نصر الدين عبيد من جهد في توجيه البحث وجهته الصحيحة ، وعلى ما قدمه لنا من توجيهات وآراء صائبة فله خالص الشكر والعرفان ونسأل الله التوفيق والسداد.

مدخل

مدخل

إن الالتزام في الأدب هو مدى التزام الأعمال الأدبية بالمعايير الاجتماعية والأخلاقية والجمالية ، ومن المعروف أن الوظيفة الاجتماعية والأخلاقية والجمالية قديما منذ قدم الأدب لنفسه وإن ثمة ميلاً إنسانيًا قديمًا ومقيمًا للاهتمام بوظيفة الأدب وتوجيهه لمصلحة الفرد والوطن والإنسانية والمعتقد.

"يقوم الالتزام في الدرجة الأولى على الموقف الذي يتخذه المفكر أو الأديب أو الفنان فيها ، وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوح وإخلاصا وصدقا واستعدادا من المفكر بأن يحافظ على التزامه دائما ويتحمل كامل التبعية التي يترتب عن هذا الالتزام".[1]

و يرجع مفهوم الالتزام إلى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ،إذ كان المفكر (جون بول سارتر) "أول من بلور مصطلح الالتزام للدلالة على مصطلح الالتزام وبالدلالة على مسؤولية الأديب وللتوكيد أن كلام الأديب ليس الترويح عن النفس أو تعبير جمالي ، و أنما هو موقف يتتبع المسؤولية".[2]

ففكرة الإلتزام ظهرت إلى الوجود في العصر الحديث نتيجة احتكاك الأديب بمشكلات الحياة ، وشعوره بخطورة الدور الذي يجب أن يقوم به اتجاهها والالتزام يعني "أن يضع الأديب أو رجل الدين أو رجل السياسية جميع قواه المادية والمعنوية ، وجميع طاقاته العقلية والفنية في خدمة قضية معينة".[3]

[1] الالتزام في الأدب، https://www.marefa.org/ ، تاريخ زيارة الموقع 10/6/2020على الساعة 9:00

[2] المرجع نفسه

[3] لخضر لعرابي ،الأدب الإسلامي ،ماهيته ومجلاته ،دار العرب للنشر والتوزيع ،وهران، ب ط،2003، ص16

أما ظهور الدعوة إلى الالتزام في الأدب العربي فقد تزامنت مع ظهور حركات التحرر الوطني في مواجهة الاحتلال الأجنبي والهيمنة الكولونيالية ، وكانت مسألة الالتزام تعد واجبا وطنيا وقومي اتجاه قضايا الأمة العربية.

يرتبط الالتزام بالأدب من الجانب الموضوعي ، وقد يرتبط أيضا بالحياة كذلك ارتباطا وثيقا يجعل الأديب والفنان يمتلك إحساسًا قويًا ، وهكذا فالأديب ابن بيئته يسعى دائما إلى ربط معاناته بالواقع الحقيقي ، بحيث يحاول جاهدا استكشاف واستنباط الحقائق الجوهرية التي تعمل على إثراء الخبرات وإيقاظ الشعور.

وهناك من الكتاب من منح الالتزام في الفكر والأدب كالكاتب جون بول سارتر الذي أوضح مقوماته وأرسخها ،فالكلمات على حد التعبير (بريس بارن) عبارة عن مسدسات عما بقذائفها لهذا لابد عليه أن يحصل التصويب والتسديد وذالك إلى هدف خاص لا عن طريق المصادفة لأجل سماع الدوي الخاص للطلقة.[1]

وقد أوضح (ديدرو) أن " الالتزام هو ربط العمل الأدبي أو الفني بالحياة الاجتماعية وتشديده على أهمية المضمون الاجتماعي والفكري والخلقي ، واعتباره خال من المضمون الفكري ولا يقتدى به من وجهة نظر الاجتماعية ، ولو اشتملت عليه قيمة فنية كبرى فالفنان مطالب بأن يجعل الفضيلة محببة والرذيلة منكرة بأن يختار موضوعاته ويبدع بفرشاة لوحات جديرة بأن تحرك المشاعر وتهذب النفوس".[2]

فإن اتصال الإلتزام بالعمل الأدبي يرتكز على مجموعة من المواضيع المتعددة الهادفة الموجهة للحياة ، والأدب الملتزم يتأثر بتأثير البنية الاجتماعية و الأوضاع التي تعرضت لها المنطقة العربية وبتأثير من الثقافة الغربية وتطور المفاهيم الأدبية والنقدية .

[1] أحمد أبو حاقة ، الالتزام في الشعر العربي ، دار العلم للملايين، ط1، 1979 ، ص15 بتصرف

[2] المرجع نفسه، ص 23.22

مدخل

تطور الالتزام الأدبي في الخطاب العربي بتطور حركة التحرر العربية ثم انحصر مع الانخراط في مشاريع التسوية لكنه يؤكد أن الالتزام ليس محصورا بالسلاح بل مفهوم إنساني عام كما يرى (عماد الدين خليل) " أن الالتزام ليس نظرية جديدية لكي يقال :إننا ندعوا إلى الأخذ عن الغير ...ورغم أن الأخذ عن الغير ليس خطأ بحد ذاته عن الإطلاق بل العكس هو الصحيح إذ الحكمة ضالة المؤمن ، إن وجدها فهو أحق بها رغم هذا ، فإن الدعوة إلى الالتزام واعتباره الوسط الضروري والطبيعي نفسه وبين الجمال والفكر ، وبين الإبداع التصور."[1]

الالتزام يجعل الأدب نشاطا جادا فاعلاً و مؤثراً في مختلف مجالات الحياة مما يكسب المصداقية والقيمة و يرى الأستاذ (ساري) أن على الأديب أن يتخذ موقف من الأحداث التي تحيط به وأن يلتزم بأدبه لكن دون أن يحوّل الأدب من وظيفته الفنية الجمالية إلى غاية سياسية[2].

و يرى أيضا الروائي (الحبيب سايح) "أن الأدب الملتزم وجد مع وجود الكتابة نفسها والالتزام بالقضايا الجوهرية التي تمص وجود الإنسان وحريته وكرامته ، موازات مع هذا ظهر لنا ما يسمى بالأدب الملتزم الإيديولوجي وهنا يفرق (محمد ثنا) بين الالتزام بالكتابة كالمبدأ ينتصر للإنسان ، والالتزام في الكتابة كانتصار لحزب سياسي أو طائفة أو إيديولوجية محصورة في رؤية ... مختلفة"[3]

وبذلك لا يعني أن الالتزام بالخطاب السياسي والدعوة إليه عدم إنتاج النصوص أدبية نقدية تتعلق بالشأن السياسي بحيث أن قطعية العمل الأدبي مع جوهر المفهوم الإنساني للالتزام سيقذف بنا إلى عبثية علاقة باللحظة الإنسانية التي تعيشها ، فبذلك فإن كل أدب وفن فإنه يتضمن رأيا أو العديد من المواقف سواء سياسية أو اجتماعية أو دينية.

---

[1] عماد الدين خليل ، مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، ط1 ، دار ابن كثير دمشق،2008 ، ص77

[2] أحمد أبو حاقة ، ينظر الإلتزام في الشعر العربي، ص 09 بتصرف

[3] حسين مروة ، دراسات نقدية ، دار الفارابي القاهرة ، ب ط، 1976 ، ص06

و في حديثنا عن الالتزام في الإسلام بشكل عام فنجد أنه بمرتبط بالفكر الإسلام منذ بزوغ فجر الإسلام في شبه الجزيرة العربية و بذلك أن الخطاب العربي أخذ على حذر في مفاهيم ومصطلحات الالتزام الإسلامي التي شكلت الأخذ بالوعي بخصوص الهوية تمييز الديني والثقافي وبذلك كان الناقد الإسلامي مدركا لمعالم التمييز والخصوصية للمصطلح الذي هو نتاج من فلسفة خاصة استطاع استخدامه في مجاله الأدبي شريطة فهمه وضبطه بالضوابط الإسلامية.

وأما في قضية تأصيل المصطلح (الالتزام) يرى سيد سيد عبد الرزاق " أن مصطلح الالتزام مصطلح مستعار مجلوب اقتضته المرحلة الأولى في الدعوة إلى إسلامية الأدب بوصفه مدخلا للربط بين الأدب و الدين ، و الآن نقد استنفد أغراضه ، ولم يعد هناك ما يسوغ استخدامه، إذ يجعل الأدب الإسلامي حلقة في سلسلة الآداب الجاهلية المعاصرة للوجودية والماركسية ، ثم هو يعكس قصورا في فهم الأصالة الأدبية من خلال التعبير عن واقعنا بمصطلحات غربية" .[1]

تحمل الدعوة للالتزام في مضمونها " قيم الاعتراف بقيمة الفنون بعامة والآداب بخاصة والاعتراف كذالك بتأثيرها البعيد في حياة المجتمعات الإنسانية وفي نفوس الذين يعيشون فيها ، لتنطلق في سبيل المبادئ ودعوات الإصلاح التي رسمتها أو التي رسمت بها ولتحقق الغايات التي حددتها تلك الدعوات ، وتبشر الناس بالسعادة التي يمنيها بها الدعاة إليها إذا التزموا بها وجروا في مضمارها" [2]

[1] سيد سيد عبد الرزاق ، مصطلح الالتزام في النقد الإسلامي المعاصر: دراسة في المفهوم ومجالات الاستخدام **مجلة إسلامية المعرفة** ،أسيوط ، مصر، السنة 15،العدد 58، خريف 2009م ، ص50

[2] بدوي طبانة ، قضايا النقد الأدبي ، دار المريخ للنشر ، ب ط ،1989 ، ص 15

ومن خلال حديثنا السابق عن الالتزام في الأدب نود الإشارة إلى الالتزام في الأدب الجزائري في بضعة أسطر و الذي خصصنا له حديث مطولاً في المباحث التالية

أن الحديث عن الأدب الجزائري يشبه بحد كبير الحديث عن الأدب العربي بصفة عامة في كل بيئة من بيئته الوطنية وقد كان الاستعمار قد أفاد بها البلاد العربية حيث نقل إليها المطابع والصحف والمجالس العلمية بعكس ذلك إذ لم يأتي لينشر حضارة إنما جاء ليسلب أفكار الشعب ويبرز كيانه ويستغل ثروته.

ومن خلال هذه النهضة نتج عن هذا تباطؤ الحركة الأدبية الجزائرية ، وفقدان التوازن بين قوة العناصر الوطنية وبين وسائل الاحتلال وتحجر وجمود في الحركة الفكرية عموما وحركة الأدب على الخصوص.

ومن خلال الأطروحات التي تبنها النقد الجزائري بعد الاستعمار هي الطرح الاجتماعي الذي كان دخيل على المجتمع العربي بعامة والمجتمع الجزائري بخاصة ، لأن هذه الرؤية جرت على الكثير من الأدباء والنقاد إلى الممارسة النقدية .

ولقد لاحت في أفق النقد الجزائري بوادر الدعوة إلى ضرورة ارتباط الأديب بمجتمعه إبان فترة ما بعد الاستقلال مباشرة من خلال كوكبة من الأدباء والنقاد على أعمدة الجرائد الجزائرية من خلال ما ألفوا من كتب ونشروها على المنابر السياسية الرسمية والمواثيق الوطنية.

وبذالك لم يجد النقاد والأدباء الجزائريين بدءا من الدعوة إلى أدب اجتماعي باعتباره الأصلح لتلك الفترة التي احتاجت لتظافر جهود المفكرين وقد استجاب الأدب لهذه المتطلبات الاجتماعية مثلما أكد عليه الناقد يوسف وغليسي يقول: " على غرار سائر البلاد العربية استغرق النقد الاجتماعي حيزا كبيرا من الكتابات النقدية الجزائرية إذ تجلت هيمنته الشاملة خلال العشرية السبعينية بصورة لافتة ، حيث هيمنة الإيديولوجية الاشتراكية على حياة الجزائرية العامة : سياسة ، اقتصادا وثقافة...، و أفرزت الثورات الثلاثة

(الزراعية ،الصناعية، الثقافية) حيث عرفت البلاد ـ في ضوئها حركات التأميم والتيسير الذاتي للمؤسسات والمخططات التنموية وصارت كتب (لينين) تباع بأبخس الأثمان."[1]

[1] يوسف وغليسي ،النقد الجزائري المعاصر من اللاسونية إلى الألسنية ، رابطة الإبداع الثقافية ، الجزائر ب ط ، 2000 ، ص41

الفصل الأول

1- المفهوم اللغوي و الاصطلاحي للالتزام

أ- المفهوم اللغوي للالتزام

ورد في معجم لسان العرب لابن المنظور أن " الالتزام معناه الاعتناق والمداومة على شيء و يقال لزم الشيء يلزمه لزما ولزوما ولازمه ملازمة ولزاما و التزاما وألزمه إياه فألزمه".[1]

و جاء في معجم الوسيط " لزم الشيء : لزوما : ثبت و دام ، و ألزم فلان الشيء : أوجبه عليه و يقال : ألزمه المال و الحجة و غير ذلك ، و يقال: ألزمه به و ألزمت خصمي : حججته.

لازمه ملازمة و لزاماً دوام عليه و يقال : لازم الغريم : تعلق به.

التزم الشيء أو الأمر : أوجبه على نفسه."[2]

و قد ورد في القرآن الكريم للإشارة إلى هذا المعنى في قوله تعالى : " **و ألزمهم كلمة التقوى و كانوا أحق بها و أهلها**"[3] سورة الفتح ، الآية: 26.

و جاء أيضا في قوله تعالى : " **قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزما**" سورة الفرقان ، الآية 99 .

يفسر ابن كثير قول الله تعالى: **(فقد كذبتم فسوف يكون لزاما)** أي : " فسوف يكون تكذيبكم لزاما لكم ، يعني : مقتضياً لعذابكم و هلاككم و دماركم في الدنيا و الآخرة" [4].

و قال تعالى : " كل إنسان ألزمناه طائره في عنقه". [5]سورة الإسراء ، الآية 13

---

[1] ابن منظور لسان العرب مادة لزم، دار المعارف ، بيروت ، ب ط ، ص59

[2] معجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، مصر ، ط 4 ، 2008، مادة لزم ، ص 823

[3] سورة الفرقان ، الآية 99

[4] أبو إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، م3 ، دار ابن الحزم، بيروت ، لبنان ، ط1 ،2002، ص 2100

[5] سورة الإسراء ، الآية 13

ب ـ المفهوم الاصطلاحي للالتزام

تعددت آراء النقاد و الأدباء حول مفاهيم الالتزام ، يعرفه مجدي و هبة و كامل الخطيب فيقولان : إن الالتزام هو " اعتبار الكاتب فنه وسيلة لخدمة فكرة معينة عن الإنسان لا لمجرد تسلية غرضها الوحيد المتعة و الجمال".[1]

و قد ورد في معجم مفصل الأدب مصطلح لزوم ما لا يلزم : " أطلق هذا المصطلح على منهج أبي العلاء المعري في نظمه لديوانه اللزوميات ، و هو أن يلتزم الشاعر بأكثر مما هو مفروض عليه في القافية، فهو أن يجيء الشاعر قبل حرف الروي بحرف أو أكثر ليس بلازم التقفيه لكنه يلزمه في الشعر". [2]

و جاء في المعجم الأدبي أن مفهوم الالتزام هو: "حزم الأمر على الوقوف بجانب قضية سياسية أو اجتماعية أو فنية ، و الانتقال من التأييد الداخلي إلى التعبير خارجيا عن هذا الموقف بكل ما ينتجه الأديب أو الفنان من آثار." [3] و هذا يعني أن الالتزام لا يقتصر على تأييد المفكر الملتزم و إنما السعي إلى تحقيقها في الواقع .

و يرى محمد مندور الأديب أن الأديب الملتزم : " هو المقدر لمسؤوليته إزاء قضايا الإنسان و المجتمع في عصره ". [4] و يتضح من خلال هذا القول أن الأديب هو من ينقل واقع مجتمعه من خلال كتابته يبرز من خلالها حقائق واقعه دون يحيد عنها يقول إحسان عباس في كتابه اتجاهات الشعر العربي: " إن الالتزام هو الجانب الإيجابي من علاقة متبادلة بين الشاعر

[1] وهبة مجدي ، الخطيب كامل ، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، مكتبة لبنان، ط2، 1984م. ص 58

[2] محمد التونجي ، المعجم المفصل في الأدب ، ح2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1999 ، ص 736

[3] جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان ، ط2، 1984م ، ص 31

[4] وهبة مجدي ، الخطيب كامل، المرجع السابق ، ص 58

و المجتمع ، و هي ليست علاقة أخذ أو عطاء و لا علاقة انصهار أو ذوبان، و إنما علاقة تطابق" [1]

يعرف أحمد أبو حاقة الالتزام بأنه ذاك " الموقف الذي يتخذه المفكر أو الأديب أو الفنان فيها، و هذا الموقف يقتضي صراحة و وضوحاً و إخلاصًا وصدقا و استعدادًا من المفكر الملتزم لأن يحافظ على التزامه دائما... فالالتزام يعني حرية الاختيار، و هو يقوم على المبادرة الإيجابية الحرة من ذات صاحبه ، مستجيبا لدوافع وجدانية نابعة من أعماق نفسه و قلبه"[2].

وفي هذا الصدد " يعرف خليل السواحري الالتزام بأنه: هو الذي يعطي الأديب مجاله و حيويته و أصالته و إنسانيته، و الأديب الخالد على مر المراحل التاريخية هو الذي استوعب متطلباتها و وعها، و عبر عنها ، و عن تطلعاته للمرحلة التاريخية القادمة ، إن الأدب في هذه المرحلة هو ذلك الذي يلتزم التزاما واضحا بالقضية الوطنية و قضية الإنسان المبعد عن أرضه"[3]

عندما يكون الأديب الملتزم مؤمن بما يلتزم به تكون مساهمته في تأدية عمله بفعالية و إيجابية لأن رغبته في تحقيق مراده تكون دافعا قويا و محفزًا لتحقيق الأهداف المنشودة .

أما عمر أزراج فيرى أنه على الأديب الملتزم أن يلتزم " بما يخدم العدالة ، ومحو الفوارق الطبقية و بث الوعي الجمالي و الفكري السياسي الاشتراكي ; أي أن الأدب هو الانتصار للإنسان ، و هو يصارع من أجل الانعتاق الكلي الدائم وما دام الأب قوة نضال و كفاح ، فإن الالتزام بغير هذه القوة هو التزام بالطوباويات و مجتمع معلق في الوهم".[4]

---

[1] إحسان عباس ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، ط3، دار الشروق للنشر و التوزيع ، الأردن ، 2001 ، ص 155

[2] أحمد أبو حاقة ، الالتزام في الشعر العربي ص 14

[3] بن مرزوق نجوى ، ظاهرة الالتزام في شعر محمد بلقاسم خمار ، رسالة ماستر ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة المسيلة 2014/2013، ص 14

[4] أزراج عمر، أحاديث في الفكر و الأديب، دار البعث ، الجزائر ، ط1 ،1984 ، ص 26

و بهذا يكون الأديب الملتزم هو الأديب حقا الذي ينبع إبداعه الأدبي من كيانه و قلبه بحيث يعبر عن أفكار و آراء الآخرين و تتصهر ذاتيته و عواطفه و أحاسيسه في ذاتية الجماعة ، و يكون أدبه خدمة لمجتمعه ، و مشارك أفراد مجتمعه في قضيتهم مقدما حلولا تهدف إلى حل مشاكل مجتمعه .

يختلف مفهوم مصطلح الالتزام عن الإلزام ، " فإن الالتزام شيء و الإلزام شيء آخر فالالتزام يعني حرية الاختيار وهو يقوم على المبادرة الايجابية الحرة من ذات صاحبها مستجيبا لدوافع وجدانية نابعة من أعماق نفسه و قلبه ... و لعل هذه الحرية هي التي تضفي على الالتزام معنى شعور بالمسؤولية ، أما الإلزام فتنبعث منه رائحة الإكراه و الجبر الذي يتنافى مع مبدأ الحرية و الاختيار، و الإنسان بطبعه فيه نفور شديد من القسر و الإرغام."[1] و ما يبين معنى الالتزام بالإكراه ما جاء في قوله تعالى : " قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي و أتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها و أنتم لها كارهون."[2] سورة هود.الآية 28

2 - الالتزام في الفكر الغربي و العربي الحديث

1)- الالتزام في الفكر الغربي الحديث

أ- الالتزام في الفلسفة الاشتراكية الماركسية

إن فكرة الالتزام قديمة في مضمونها ، جديدة في مصطلحها ، و الحديث عن العلاقة بين الأدب و الحياة لم يعرفه القدماء كمبدأ نقدي ، لذا فالالتزام كمصطلح نقدي عرف في العصر الحديث و قد أخذ عدة مفاهيم بعد الحرب العالمية الثانية خاصة الخمسينات

[1] إبراهيم لقان ،قضايا الالتزام في الشعر العربي الحديث(محمد العيد آل خليفة أنموذجا)، **مجلة العلوم الإنسانية** جامعة الإخوة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر، العدد 44 ، ديسمبر 2015، ص 80

[2] سورة هود.الآية 28

و الستينات من القرن العشرين في ظل الفلسفة الماركسية ، حيث تجسد الأدب الملتزم الذي يعبر عن آمال و آلام أفراد المجتمع، فهو يعكس صورة المجتمع لكل مظاهره السياسية و الاجتماعية ، أو بعبارة أخرى يمكن القول أن أدب الالتزام هو أدب مجند ينطلق من الواقع المعاش و يحلق في أجوائه ليترجمه كما هو و يقدمه للمثقفين تحفة فنية رائعة تنبض بالحياة و الجمال .

خصص النقاد في الفكر الغربي الحديث مصطلح الالتزام في استعمالاتهم الفنية و الأدبية و أصبحت من المصطلحات الشائع استعمالها، و التي تعني المشاركة في قضايا الجماهير و العمل على حل مشكلاتهم ، و استعملت لفظة الالتزام " في اللفظ الأوروبي بما يصطلح عليه (Engagement) الذي يعني التعهد و الارتباط بعامة و بهذه القضايا الجماهيرية الخاصة " [1]

ارتبط معنى الالتزام في الفكر الغربي بمذهب الفلسفة الماركسية في القرن العشرين و الذي " برزت معه الدعوة إلى الالتزام ، وهي من تعاليم الواقعية الاشتراكية كما عبر عنها قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي وفي ذلك القرار أن الواقعية الاشتراكية تعتمد على التقاليد الواقعية وتجعل أساس الابتكار الفني إدراك الفنان للحقيقة الموضوعية لا الخيالية."[2] فالأديب الملتزم في الفلسفة الواقعية الاشتراكية هو ذلك المثقف الذي يرسم صورة فنية تعكس الحياة الاشتراكية .

[1] بدوي طبانة ، قضايا النقد الأدبي ، دار المريخ للنشر، د ط ، 1984 ، ص 15

[2] المرجع نفسه ، ص 16

الالتزام في الفكر الماركسي من المفاهيم التي ترتبط بالجمال ، حيث تربط الفلسفة الماركسية بين الفن و بين المجتمع مؤسسة بذلك نظرية الانعكاس بمعنى انعكاس أدب المجتمع على الواقع ، فهي لا تفرق بين فن و أخر من بين فنون الأدب ، وقد عبر (هنري لوفافر) بأن" لفن ليس إيديولوجية ، و لكنه له علاقات مع الأيديولوجية ، إن له محتوى إيديولوجي يتراوح في حظّه من الوضوح وفى كونه سياسياً عن وعي ، فالكاتب أو الفنان ، إنما يعبر عن وضع اجتماعي ، وموقف تاريخي محددين ، وإذا كان صراع الطبقات ليس هو المبدع الخلاق ، ولكن المبدع الخلاق هو البحث عن تعبير صحيح عن جميع العلاقات الاجتماعية القائمة على قاعدة معينة وصراع الطبقات يؤلف جزءاً جوهرياً من هذه العلاقات ويعتبر وجهاً أساسياً من وجوه الموقف التاريخي." [1]

فالفنان في المفهوم الفكري للماركسية هو الذي يدفع المجتمع إلى التغيير عن طريق و الفن هو وسيلة للسيطرة على الواقع ، " ومن ثم فإنه يلعب دوراً في تطور الإنسان المتناغم الشامل و هدف الفن العظيم هو تقديم صورة للواقع ينحلّ فيها التناقض بين المظهر والواقع ، الجزئي والعام و المباشر والتصوري .. الخ، حتى أن الشيئين ينصهران في تكامل تلقائي في الانطباع المباشر للعمل الفني."[2]

فالفنان رغم انتمائه الطبقي في مجتمع ما فهو بالضرورة يلتزم بمواقف محددة تنبع من الإيديولوجية التي يلتزم بها ، وقد وضح المفكر الماركسي (إرنست فيشر) معنى الالتزام يقول : ليس معنى الالتزام أنه ينبغي على الفنان أن يتقبل ما يمليه عليه الذوق السائد ، وأن يكتب أو يرسم ، أو يؤلف وفقاً لمرسوم رقم كذا ، أو كذا ، وإنما تسليمه بأنه لا يعمل في فراغ ، و أنه

[1] رمضان الصباغ ، الالتزام في الأدب و الفن ، بين سارتر و الماركسية، الحوار المتمدن، العدد1424، 8جانفي 2006 http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=54266&r=0 زيارة الموقع على الساعة 20:00

[2] المرجع نفسه

في آخر الأمر ملتزم بالمجتمع , وكثيراً ما يحدث كما أوضح (مایاکوفسکی) منذ أمد طويل ألا يكون هذا الالتزام الاجتماعي العام متفقا مع التزام واضح بمؤسسة اجتماعية معينة ، وليس من الضروري أن يفهم كل الناس العمل الفني ويقرّوه منذ البداية . فليست وظيفة الفن أن يدخل الأبواب المفتوحة، بل أن يفتح الأبواب المغلقة[1]."

ففي الفكر الفلسفي الماركسي " يبقى الأدب و الفن قوة اجتماعية فاعلة ذات تأثير عظيم في المجتمع، ولهذا السبب اعتبر الماركسيون أن الأدباء هم مهندسون الأرواح البشرية و على ذلك فالفن يكون ملتزما من الوجهة الشيوعية إن عرف مساره الحقيقي أي إذا تدخل في المجتمع كقوة ثورية تعمل على منحه العطاء الثوري. كما يرى الماركسيون أن الأثر الفني تتوقف أصالته و نبله على مدى إسهام و تعمقه في الحياة الاجتماعية ، وكذلك الحياة الاجتماعية."[2]

ب- الالتزام في الفلسفة الوجودية

كما تبنت أيضًا الفلسفة الوجودية عند جون بول سارتر مصطلح الالتزام " فأخذ يظهر بكيفية منتظمة أكثر فأكثر منذ ما بين الحربين العالمتين في خطاب النقاد و المثقفين و بدقة أكثر، يبدو أن تحديد الالتزام الذي اعتمده سارتر أخذ يشير تدريجيا ضمن خطوات الوجودية المسيحية".[3]

يرى سارتر " أن الكاتب الملتزم هو من ينقل الالتزام من حيز الشعور الغريزي إلى حيز التفكير، و يلعب دور الوسيط، بل أن التزامه يكمن في هذه الوساطة ، ومن الحق أن يحاسب

---

[1] المرجع السابق

[2] إبراهيم لقان ، قضايا الالتزام في الشعر العربي الحديث(محمد العيد آل خليفة أنموذجا)، ص 79

[3] بونوداني ، الأدب و الالتزام (من باسكال إلى سارتر) ت:محمد براودة ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر، ط1 ، 2005 ص 37

في إنتاجه على أساس حالته في المجتمع و حالته لا تنحصر في كونه إنسانا و كفى ، بل إنسانا و كاتبا مفروض عليه أن يختار لنفسه على أساس ما حده الآخرون ، فالمجتمع يحاصر الكاتب و يقيد مكانته ، يقول (سارتر) : و إنما سمي الكاتب ملتزما حينما يجتهد في أن يتحقق لديه وعي أكثر ما يكون جلاء... أي عندما ينقل لنفسه و لغيره ذلك الالتزام من حيز الشعور الغريزي الفطري إلى حيز التفكير، و الكاتب هو الوسيط الأعظم ، و إنما التزامه في وساطته"[1].

و يضيف أيضا يقول:" غير من الحق أن نحاسبه في إنتاجه على أساس حالته في المجتمع، و علينا أن نكون على ذكر من أن حالته لا تنحصر في أنه إنسان و كفى. بل وفي أنه ـ على وجه التحديدـ كاتب أيضا، فقد يكون يهوديا أو تشيكوسلوفاكيا أو من أسرة من أسر الفلاحين، و لكنه كاتب يهودي، و كاتب تشيكوسلوفاكي، و من أرومة ريفية . حينما حاولت في مقال آخر أن أحدد حال اليهودي لم أجد غير هذه العبارة ، اليهودي إنسان ينظر إليه الآخرون على أنه يهودي ، فمفروض عليه أن يختار لنفسه على أساس ما حدده إليه الآخرون له من موقف."[2]

فالالتزام من وجهة نظر الفكر الوجودي يقف على تحديد علاقة الإنسان بالآخرين مع ملاحظة أن هذا التحديد تحيط به مجموعة من القيود تقلل من مجال هذا الاختيار فالإنسان مثلاً لا يختار مولده و لا أسرته و لا بيئته ، و لكن هناك التزاما في موقف إدراك واع من القيم الإنسانية و الاجتماعية ثم يتجاوز المرء هذا الموقف ليعمل على تغييره لما هو أفضل.

اتخذ الوجوديون الخطاب الأدبي النثري مجال للالتزام ، حيث " يفرقون بين الشعر و النثر من ناحية الالتزام فيرون أن الكتابة النثرية هي مجال الالتزام لأن ميدان المعاني إنما

[1] إبراهيم لقان ،قضايا الالتزام في الشعر العربي الحديث(محمد العيد آل خليفة أنموذجا)، ص 79

[2] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

هو النثر أما الشعر فلا يجبون الالتزام فيه و يعدونه من باب الرسم و النحت و الموسيقى و يوافقون القائلين باستحالة جعل الشعر إلزاميا فإن الشعر إذا كان يستخدم الكلمات كما يستخدمها النثر لا يستخدمها بنفس الطريقة بل لنا أن نقول أنه لا يستخدم الكلمات بحال و لكنه يخدمها ، و الشعراء قوم يترفعون باللغة عن أن تكون نفعية."[1]

كما لا يمكن أن تكون هذه الفنون (الشعر ، الرسم ، و النحت ، و الموسيقى) " على قدم المساواة مع الأدب في الالتزام ، لأنه إذا كانت معاني ودلالات الشعر هي نفسها كلمات الشعر ، فكذلك "دلالة الألحان – إذا جاز أن نسميها دلالة – ليست شيئاً خارجاً عن الألحان نفسها ، فهي مغايرة للأفكار التي يستطاع الإعراب عنها بطرق كثيرة على السواء سم هذه الألحان ، إذا شئت ، مرحة أو حزينة ولكنها ستبقى فوق أو دون كل ما تستطيع أن تقول عنها وليس ذلك لأن عواطف الفنان أغنى وأخصب من الألحان ، بل لأن تلك العواطف التي ربما كانت أصلا لما اخترع من موضوع ، حين ظهرت في صورة ألحان ، اعتراها تغير في جوهرها وتبدل في قيمتها . فصيحة الألم تدل على الألم الذي أثارها . ولكن لحن الألم هو الألم نفسه وشيء آخر غير الألم . فلم تعد الألحان رمزاً يحال بها على الألم."[2] و أصبحت تعد شيئاً من الأشياء . " فكما أن الكلمة في الشعر تتحول إلى شيء thing يختلف عن الرمز الدال كما هو الحال في النثر ، فإن لحن الألم هو الألم نفسه بالإضافة إلى شيء آخر ، وليس مجرد دال أو رامز للألم ، ولذا لا جدوى من البحث عن المعاني التي يعبر عنها

[1] بدوي طبانة ، قضايا النقد الأدبي ، ص 17

[2] رمضان الصباغ ، الالتزام في الأدب و الفن ، بين سارتر و الماركسية

اللحن ، أو الصورة أو اللوحة ، لأن كلا منها قد استحال إلى كيان خاص فالمعاني لا ترسم ولا توضع في ألحان" [1]

و يأتي تفسير الوجوديون القائلين بأفضلية النثر على الشعر في مجال الالتزام هو أن الناثر يعطي لكلماته نسمات تشير إلى ما هو حقيقي ، بينما الشاعر يجعل من كلماته مجرد أشياء تتصل بالعواطف، أي مجرد مشاعر ووجدان ، الأمر الذي جعل الفلاسفة الوجوديون يخرجون الشعر من هذه الدائرة ، من أجل الموقف الشعري لا من أجل الكشف عن العالم و نقل وقائع و حقائق المجتمعات الإنسانية.

يفرق سارتر بين الشعر و النثر ، و صنف الشعر مع الفنون الأخرى مؤكدا في رأيه على عدم التزام الشعر و الفنون المختلفة ، و إنما الذي يقع عليه الالتزام فقط هو النثر يقول: "ونستطيع أن ندرك في يسر حمق من يتطلب من الشعر أن يكون (التزاميا)، نعم قد يكون مبعث القطعة الشعرية الانفعال أو العاطفة نفسها ، ولم لا يكون مبعثها كذلك الغضب والحنق الاجتماعي والحفيظة السياسية ؟ ولكن كل هذه الدوافع لا تتضح دلالتها في الشعر كما تتضح في رسالة هجاء أو رسالة اعتراف". [2]

كما يرى أن الناثر هو " حرية تتوجه إلى حرية القارئ ، لأن هدف الناثر هو الحرية فإن الشعر في رأى سارتر ليس هدفه الحرية . هدفه نفسه وليس له هدف خارج ذاته ، فالشاعر يعرض ما يواجهه من مشكلات من خلال رؤيته الذاتية ، مواقفه في جوهرها نفسية ، ولا تخرج عن نطاق ذاته ، وبهذا يكون موقع الشاعر خارج العالم في العزلة."[3]

---

[1] رمضان الصباغ ، الالتزام في الأدب و الفن ، بين سارتر و الماركسية

[2] المرجع نفسه

[3] المرجع نفسه

كما عارضت نظرية الشعر للشعر المنبثقة من نظرية الفن للفن حصر الدائرة الشعرية في التزام الشاعر بقضايا مجتمعه ، وهذا في نظرهم يقتل روح الإبداع في الشاعر، كما أن الشعر غاية في ذاته، و ليس له هدف اجتماعي أو سياسي أو حضاري أو إنساني ، وليست قيمته في هذه القضايا وما تقتضيه من مضمون فكري، فهذه قيم لاحقة بالشعر، و قد تحط من قيمته إذا تقيد الشعراء بها ، لكن الشعر لا يستغني عن الفكر، و أن العناصر الشعرية الخالصة غير مستقلة عن العناصر غير الشعرية التي تنتظم فيما تنتظم المضمون الفكري ، و في ذروة هذا المضمون تقع القضايا ، فيعالجها الشعر شرط أن يظل شعراً. [1]

تغير رأي الفلسفة الوجودية حول هذا التعريف و " الواقع أن سارتر ترجع من هذا الرأي إذ اعترف بالالتزام الشعر عندما اعتبر مالارميه أكبر شاعر ملتزم إذ قورن بالشعراء الآخرين"[2]

و من خلال هذا الاعتراف لم يعد النص النثري مقتصر على الالتزام فقط عند سارتر بل ضم النص الشعري أيضا إلى مجال الالتزام، حيث يلتزم الشاعر بواقع مجتمعه معالجا قضاياه و مشكلاته من خلال إبداعه.

إن تحديد موضوع الالتزام لدى سارتر كانت من منطلقات فكرية فلسفية " متصلة بهموم وجودية تسعى إلى حلول شاملة، ليتمكن سارتر من خلالها أن يعي وضعيته و دوره و أهدافه في الحياة، إن فصل ما الكتابة؟ ، ينتهي إلى أنها تمنح المبدع الشعور بأنه أساسي غير زائد وفصل لماذا الكتابة ؟ يؤكد بأنها تتيح تحقيق الحرية ، بينما فصل لمن نكتب؟ ينتهي إلى أننا نكتب دفاعًا عن قيم نؤمن بها، و إنما يسمى الكاتب ملتزما حينما يجتهد في يتحقق لديه وعي

[1] بن مرزوق نجوى ، ظاهرة الالتزام في شعر محمد بلقاسم خمار، ص 33 بتصرف

[2] أحمد طالب ، الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة ، (1931–1976) ديوان المطبوعات الجزائرية الجامعية، دار المريخ، د ط، 1984، ص 17

أكثر ما يكون جلاء و أبلغ كمالاً بأنه مبحر، أي عندما ينقل لنفسه و لغيره ذلك الالتزام من حيز الشعور الغريزي الفطري إلى حيز التفكير. و الكاتب هو الوسيط الأعظم، و إنما التزامه في وساطته ، غير أن من الحق أن نحاسبه في إنتاجه على أساس حالته في المجتمع."[1]

تبلورت فكرة الالتزام بشكل واضح " في العصور الحديثة نتيجة لاحتكاك الأديب بمشكلات الحياة التي يعيشها، و إدراكه لخطورة الدور الذي يقوم به إزاء هذه المشكلات ومن ثم تحدد مفهوم الأدب منذ وقت مبكر في العصر الحديث بأنه نقد للحياة أو تفسيراً لها و كان ذلك معناه ضرورة احتكاك الأديب بمشكلات عصره و قضاياه " [2]

كان " الوعي السياسي لدى الأدباء هو الذي دفعهم إلى التفكير في مصير شعبهم و هو الذي جعلهم يعتبرون أنفسهم مجندين للدفاع عن هذه الشعوب ، وقد ظهر هذا الوعي في نظر بعض النقاد في المغرب العربي قبل الحرب العالية الثانية."[3]

و بهذا يرجع ظهور الالتزام إلى الظروف و المعاناة التي عاشتها الشعوب نتيجة للقهر و الظلم في فترة الاستعمار و بهذا كان لزامًا على الأديب و من الضروري أن يشحن المجتمع لمقاومة الاستعمار بكل الوسائل المتاحة.

و من خلال ما سبق ذكره نرى أن الالتزام كان نتيجة التزام الأديب نابع من قلبه و ضميره الذي يدعوه إلى الوقوف إلى جانب شعبه و الدفاع عن حقوقه و نقل وقائعه

---

[1] بن مرزوق نجوى ، ظاهرة الالتزام في شعر محمد بلقاسم خمار، ص 34.33

[2] عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر (قضاياه و ظواهره الفنية و المعنوية) ، المكتبة الأكاديمية ، مصر، ط5 1994 ، ص 322

[3] محمد مصايف ، النقد الأدبي الحديث، في المغرب العربي ، الشركة الوطنية ، الجزائر ، د ط، 1979 ، ص 237

أو التزام بتبني فكرة إيديولوجية و الترويج لها و نشرها مثل ما حدث مع الفكر الشيوعي و النظام الرأسمالي.

كما يمكننا القول إن صح التعبير أن الالتزام هو اختيار نابع عن القناعة الداخلية للفرد يعبر الأديب به عن موضوعه بحرية تامة، و أسلوب يتطابق و يتوافق تصوره في الحياة أيمانا منه بما يتناوله و يعالجه من قضايا.

2)- الالتزام في الفكر العربي الحديث

أ ـ الالتزام في الأدب الإسلامي

إن الحديث عن الالتزام في الفكر العربي يستوجب أن نحدد المرجعيات الفكرية للالتزام فإن أي فكر نابع من عقيدة ، و أن عقلية المفكر و الأديب العربي هي الديانة الإسلامية " و الدين الإسلامي عقيدة راسخة هدفها سعادة الناس في الدارين و حل مشاكلهم و توجيههم لكل خير، و إذا كان شأن الأديب الملتزم (أن يكشف كل هذه الخيرات و ينقلها إلى الآخرين) فإنه ينطلق من عقيدته ، و إذا كانت عقيدة الأديب الإسلامية ، فإن الإسلام سوف يدفعه من الصميم نحو محاربة الواقع الفاسد و يحمله التبعات إن قصر عن ذلك " [1]

إن أدب الالتزام يلتقي مع الالتزام في خدمة المجتمع المسلم بأسس سليمة حيث يتضمن الأدب الإسلامي " طريقة التصوير و التغيير تلذ له الغريزة الجمالية في الإنسان إذا كانت مقيدة في الحدود العامة لتعاليم الإسلام بمعنى كونه متماشيا لما نهى الإسلام عن نشره

[1] ظاهر محسن جاسم ، ظاهرة الالتزام في الأدب الإسلامي ،(مجلة ينابيع) كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، العراق ، العدد 25، رجب شعبان 1429هـ، ص 53

في المجتمع من أفكار فاسدة منحرفة و عقائد إلحادية و مثيرات للفتنة بين المسلمين أو للشهوات المحرمة في النفس". [1]

تعاليم الدين الإسلامي كثيرة هي التي تعنى بالالتزام ففي القرآن الكريم نجد مسوغات الالتزام منها الآية التي نزلت حين قام المشركون من شعراء قريش بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم و يقولون فيه ما يقولون أن محمد شاعرًا تتنزل عليه الشياطين، فنزلت سورة الشعراء يقول فيها المولى عز وجل ": و الشعراء يتبعوهم الغاوون ألم ترى أنهم في كل واد يهيمون و أنهم يقولون مالا يفعلون إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و ذكروا الله كثيرًا و انتصروا من بعد ما ظلموا و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون "[2] سورة الشعراء الآية 224 . 227

تنص الآية الكريمة على أن الشعراء يكونوا دائما عرضة للغواية و الإغواء و الغواية مما يختص به صناعة الشعر المبينة على التخيل الزائف و تصوير الباطل بصورة الحق ، لذا لا يهتم بالغواية إلا المشغوف يتزين الباطل،ل لكن الآيات الكريمة أخرجت بعض الشعراء الملتزمين بالصفات الآتية :

" أولا: أن يكونوا مؤمنين حقا (إلا الذين أمنوا)

ثانيا : أن يكون إيمانهم مقرون بالعمل الصالح (و عملوا الصالحات)

ثالثا : أن يكونوا ذاكرين الله كثيرًا

رابعًا : أن يكون شعرهم لنصرهم ممن ظلمهم (و انتصروا من بعد ما ظلموا) " [3]

[1] المرجع السابق ، ص 53

[2] سورة الشعراء الآية 224 . 227

[3] ظاهر محسن، ظاهرة الالتزام في الأدب الإسلامي ، ص 54 . 55

الصفات الأربع هي التي تميز الشاعر المؤمن الملتزم عن سواه من الشعراء فضلاً عن ذلك فإن الالتزام الإسلامي فطري عفوي ليس فيه إكراه على الفعل إذ يقول سبحانه و تعالى : " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي"[1] سورة البقرة الآية : 256

تعددت القضايا التي تناول الأدب الإسلامي كالعبادات و الأخلاق و التغني بفضائل النبي ، و حث الأمم على استرجاع مجد السلف الصالح و القيم و التقوى و ترك المعاصي وعدم الانخداع بالدنيا و زخارفها . أيضا تناول الأدب الإسلامي الالتزام في أركان الإسلام كالصلاة و الزكاة و صوم رمضان و الحج ، كذلك تناول سيرة السلف في الدفاع عن الإسلام و المدائح الدينية النبوية.

إن الالتزام بالقيم الثابتة تجعل الأدب الإسلامي يرتقي بالحضارة الإسلامية التي تهدف إلى تحقيق سعاة الإنسان في هذا العالم ، لذا يعد فيه منارة تضيء طريقه يسوقه إلى الصراط السوي ، و هاديا يخرجه من ظلمة الاستلاب الحضاري لأن " غذاء الجسد معروف ، و غذاء العقل لا جدال فيه ، لكن تبقى عاطفة الإنسان، فما هو غذاؤها ؟ إن الفن الإسلامي عموما و الأدب منه خصوصا ، هو المسؤول على تغذية جانب كبير من تلك العاطفة ... أن ينمي أشواقها و يهذبها و يرقى بعناصرها ، و هنا تكمن وظيفته الذاتية. و من جهة ثانية ، فهو ملتزم بالأدب بقضايا المجتمع ، و بهذا يكسب وظيفته الاجتماعية ... ثم ـ من جهة ثالثة فهو ملتزم بالأدب، أي بالمحافظة على العناصر الفنية للأدب عبر رحلته الطويلة في مسارب

[1] سورة البقرة الآية : 256

الزمان و المكان ، و الحرص على تنميتها و إمدادها بكل جديد يثري التجربة الفنية و يعمق تصورتها" [1]

و يرى نجيب الكيلاني أن " هذه الوظيفة غريبة جدا ، و لكن حتما ستزول تلك الغرابة عندما نتأكد بأن قطاعا كبيرا من المنتمين للأدب يخيل إليهم أنهم يمارسون تجديدهم في الأدب ـ وفق منظورهم القاصر للحداثة و أبهادها النفسية و الفنية ـ ولكنهم ـ في حقيقة الأمر يعيشون بروح الأدب و يتلقون خصائصه الفنية . و يدمرون قياما جمالية تكسب مشروعيتها مع تقدم الإنسانية ... بحثا عن حداثة تجريبية زئبقية بحثا عن صيغ لا صيغ لها ... أو لنقل بحثا عن المجهول في أرض المستحيل ...نعم !، عندما ندرك هذا الوضع المزري، وهذه المكيدة التي تدبر للأدب باسم الأدب. عندما : ندرك قيمة وظيفة الأدب الأدبية . كما تبين لنا الهدف من الدعوة أن يلتزم الأدب بالقيم الفنية و أخيرًا هذا أمر طبيعي ، فإن الأدب الإسلامي قديمه و حديثه ، ملتزم بالرؤية الإسلامية تجاه الكون و الحياة و الإنسان." [2]

في العصر الحديث سيطر الغرب على البلاد العربية فكريًا و علميًا و عسكريًا و اقتصاديًا و حضاريًا ، فترة طويلة الزمن مما سبب تشتت للمسلمين و افتقارهم إلى الفضائل العامة ، مما شكل هذا الخطورة على الفكر و الثقافة الإسلامية و على حضارة المسلمين.

" و لا شك أن ما أصاب العالم الإسلامي من اضطراب و تفسخ في العلاقات الاجتماعية و غرقه في المصائب ، إنما سببه بعده عن هذا الدستور الذي نظم حياة أجيال

[1] لخضر العرابي، مفهوم الالتزام في الأدب الإسلامي، مجلة الأثر، كلية الآداب و اللغات، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة الجزائر، العدد 04 ماي2005م ، ص.32

[2] المرجع نفسه ، ص 33.32

كثيرة سبقت هذا الجيل، لولا وجود رجال صالحين ترعرعوا في ظل تعاليم القرآن العظيم واتبعوا سنة غير الأنام المصطفى الكريم، و قرؤوا مؤلفات السلف الصالحين. " [1]

سعى الأدباء إلى إصلاح المنظومة الإسلامية بصورة عامة ، و هذا مهد إلى الظهور بالفكر الإصلاحي الذي يسعى إلى إصلاح المنظومة الدينية للأمة الإسلامية في مختلف نواحي الحياة الاجتماعية و الثقافية و السياسية و الاقتصادية " فالإسلام في جوهره لإصلاح عام من الله به على العالم الإنساني بعد أن طغت عليه غمرة حيوانية غارمة اجتاحت ما فيه من فطرة صالحة ركبها رب العالمين ، و ما فيه من أخلاق قيمة و شرائع عادلة قررها الهداة من الأنبياء المرسلين و الحكماء الصالحين." [2]

يعد جمال الدين الأفغاني أول من تبنى فكرة الإصلاح في العالم العربي ، بعده الأديب الشيخ محمد عبده " الذي أكد على ضرورة الرجوع إلى كتاب الله و هدي نبيه لأن علة العلل في سقوط المسلمين و تأخرهم وراء الأمم، و انحطاطه عن تلك المكانة التي كانت لها في سالف الزمن هي بعدهم ذلك الهدي الروحاني الأعلى ، و أنه لا يرجى لهم فلاح في الدنيا و لا في الآخرة ، و لا صلاح حال يستتبع صلاح المآل، ولا عزة جانب ، ترد عنهم عادية الغاصبين من الأجانب، إلا إذا راجعوا بصائرهم و استرجعوا ذلك الهدي الذي لم يغصبه منهم غاصب و إنما هجروه على طوع الشبه بالكره، و اختيار أشبه بالاضطرار فباءوا بالمهانة و الصغار و الضعة و الخسار"[3].

---

[1] حسـين قـادوم ، إسـهامات الشـاعر محمـد العيـد أل الخليفـة فـي تحقيـق البنيـة الإصـلاحية (مختـارات مـن شـعره) (حوليات جامعة قالمة للغات و الأدب) جامعة العربي بن مهيدي ، أم البواقي ، العدد 12 ، ديسمبر 2015 م، ص 180

[2] محمد البشير الإبراهيمي، آثار الشيخ الإبراهيمي ، الشركة الوطنية ، الجزائر ، ج1 ، ص 90

[3] المرجع السابق ص 181.180

أكد الشيخ محمد عبده أن يكون الإصلاح الديني أول ما يكون لأنه سبيل صلاح المجتمع " وقد كان الناس قبل القرآن على جهل مطبق لهذا الاستعمار الفكري حتى بينه القرآن الكريم و وضع قواعده و أرشدها لأول مرة في التاريخ أن الإنسان أخو الإنسان لا سيده و لا عبده ، و إن فضله في المواهب ، و أن تساوي الناس في استعمار الأرض تابع لتساويهم في النشأة وهذا التقرير لمبدأ المساواة و هو المبدأ الذي لم يسبق الإسلام إليه سابق، ولم يلحقه فيه لاحق و إن زعم المتبجحون." [1]

تواصلت إسهامات الشيخ محمد عبده الإصلاحية بالرغم من الصعوبات و المضايقات و الإدعاءات الباطلة التي تلقاها من طرف أعدائه ، حيث واصل مسيرته الإصلاحية التي بدأها إلى أن قضى نحبه ، و لم ينقطع هذا العطاء بل أكمل تلامذته مسيرته ومن أبرزهم محمد رشيد رضا و يعد " أول من حمل راية الإصلاح بعده ، فبدأ من حيث توقف الشيخ ، غير متنكر لفضله مشيدًا لمسيرته الإصلاحية ، فما كان له إلا أن جمع تاريخ حياة الإمام فكان أضخم عمل استقل به فرد و ليس تاريخ الأستاذ الإمام بالأمر الهين الذي يقوم به فرد لو كان ذلك الفرد رشيدًا" [2]

لم تتوقف جهود محمد رشيد رضا عند هذا الحد ، بل أنشأ مجلة المنار التي ذاع صيتها في الأقطار العربية و اتسع عدد قرائها و نظرًا لتتبعه أسلوب الإمام فقد أحدث انقلابا فكريًا على المنحرفين في فهم الدين و الأمور الدنيوية ، فأقام شرائع الدين و حارب دعاة البدع و الدجالين و المشعوذين ، لذلك قال عنه الإمام البشير الإبراهيمي : إنه" كان طول حياته

[1] حسين قادوم ، إسهامات الشاعر محمد العيد أل الخليفة في تحقيق البنية الإصلاحية (مختارات من شعره) ص 181

[2] المرجع نفسه ، الصفحة 182

بلاءًا مسلطًا على طائفتين: دعاة التدجيل من المسلمين، ودعاة النصرانية من المسيحيين فلم نعرف في التاريخ من فضح الطائفتين شر فصيحة غير الأستاذ رشيد." [1]

و بهذا يكون الالتزام الإسلامي محاولة لبناء من الإسلام في الرقي بالأدب نحو الأفضل و تنزيهه عن المفاسد بواسطة الأديب بصفته مسلمًا يعتنق الإسلام عقيدة و نظامًا، فهو يدافع عن قيم الدين الإسلامي و قيم المجتمع الإسلامي ، و يعمل على حل مشاكله بالتزام ، و بهذا نعرف كيف أن الإسلام بسيطرته الروحية و العقائدية الفعالة كون أديبًا إسلاميًا ملتزمًا ينطلق بعواطفه و أحاسيسه مع ما تطلبه الإسلام من تعاليم و ما يتجه إليه من أهداف .

ب ـ الالتزام في النقد الجزائري الحديث

كان ظهور الحركة النقدية الأدبية متأخرا شأنه شأن الأدب وحتى مع ظهوره حيث كانت الحركة الفكرية في الجزائر عقيمة الإنتاج الإبداعي في عشرينيات القرن الماضي نظرا للظروف التي فرضها الاستعمار ،وفي خمسينيات القرن الماضي بدأت الحركة الإبداعية تنمو وتتطور شكلا ومضمونا ، كما ساير هذا التطور تطور الحركة النقدية باعتبار أن الأدب يستلزم النقد، كما يرى محمد مصايف أن" الإنتاج الأدبي والنقدي متلازمان وتلازمهما مفيد للحركة الأدبية والثقافية معا"[2]. فلذلك كل ما تقدم الأدب صعبه تطور النقد على مر العصور.

مارس النقاد الجزائريون العملية النقدية في تلك الفترة بآرائهم وتعليقاتهم النقدية رغم تضحيتها وجزئيتها التي كانت تفتقر إلى الآليات والإجراءات النقدي ،ويرجع هذا إلى افتقار الساحة الأدبية الجزائرية إلى الأجناس الأدبية في القصة القصيرة والرواية والمسرحية ، يقول أبو قاسم سعد الله: "فالأدب عندنا كفن ما يزال متخلفا من حيث الكم والأسلوب والموضوع

[1] محمد البشير الإبراهيمي، آثار الشيخ الإبراهيمي ، ص 113

[2] محمد مصايف ، دراسات في النقد والأدب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ب ط ، 1981، ص11 بتصرف

فليس عندنا بالعربية قصة توفرت لها شروط الإيجاد في التقنية والعلاج أو الشعر تطور مع عواطف الناس وظروفهم ولا إنتاج مسرحي...عبر عن مشاعرنا بالحب والكفاح".[1]

وأرجع "صالح بن غزال " ظاهرة الركود في النقد الأدبي في الجزائر بانعدام التشجيع ، و لولا ضعف نسبة القراءة ثانيا."[2]

وكذلك أرجع الناقد(مخلوف عامر) ضعف الحركة النقدية في الجزائر إلى مجموعة من العوامل التي تحدث عنها في كتابة المعنون(بمظاهر التجديد في القصة القصيرة) والتي تكمن في:

ـ " السيطرة الاستعمارية وسيادة الاتجاه التقليدي ويقصد بهذا الأخير الأدباء الذين ينظرون إلى النص الأدبي نظرة سطحية.

ـ قلة التراث الموروث في الأدب والنقد في الاتجاه التقليدي بسب العداء والإقصاء المسلط على اللغة العربية.

ـ ضعف حركة النشر واهتمامها بطباعة الكتب والجرائد فقط.

ـ الموقف العدواني ضد الاستعمار وعدم إتقان اللغة الفرنسية،الأمر الذي لم يمكن من الاستفادة من النقد الفرنسي.

ـ ضعف حركة الترجمة عند الأدباء والنقاد الجزائريين."[3]

ويضيف الدكتور (عبد الله ركيبي) سببا آخر يقترح به ضعف الحركة النقدية الجزائرية حيث يقول: "من المشاكل التي تعترض النقد الجزائري حساسا من النقد بوجه عام وهذا ما يفسر تأخر النقد عندنا خاصة في مجال الأدب ، فإذا كان الفرد العادي لا يحب النقد

[1] أبو قاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري ، ط2 ، 1985، ص 79. 80

[2] عمار بن زايد ،النقد الأدبي الحديث،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري، ب ط،1990 ص70 بتصرف

[3] مخلوف عامر ، مظاهر التجديد في القصة القصيرة في الجزائر، دار الأمل ، تيزي وزو، الجزائر، ط2 ، 2008 ص33.32 بتصرف

فما بالك بالأديب الذي يتمتع بفرط من الحساسية ،فبعض الأدباء لا ينظرون للنقد على أنه عامل يساعده على التطور وإنما ينظرون إليه على أنه هدم لملكاتهم وقدراتهم الأدبية لذلك لم يطوروا إطلاقا وأصبح أدبهم أدب مناسبات وظروف."[1]

كل هذه العوامل أثرت في مسار الحركة النقدية في الجزائر قبل الاستقلال وفي هذا الطرح يقول(عبد الله قرين):" إن النقد الذي عرف في هذه الفترة لم يستطع أن يقوم ويوجه حركة الجزائر عامة والشعرية خاصة لذلك اعتمد الأدباء على أنفسهم في جو الفراغ النقدي."[2]

وكان العمل النقدي" لا يقوم في معظمه على أسس نقدية ثابتة أو أصول تعارف عليها النقاد العرب أو النقاد المعاصرين ، فهو بذلك أقرب إلى خواطر أملتها ظروف معينة وهذا لا يعني التقليل من قيمة المحاولات النقدية فهي بلا شك تعبر عن مرحلة نقدية مهما كان مستواها...ولكن من الواضح أنها لم تصل إلى مستوى التأسيس لمدرسة نقدية جزائرية لها خصائصها ومميزاتها الفكرية والفنية."[3]

و يتضح من خلال ما سبق ذكره أن النقد قبل الاستقلال كان محدودا و يفتقد إلى مرجعيات نقدية يستند إليها الناقد بيد أن هذه الرهانات التي فرضها الواقع الاستعماري على الحركة النقدية الأدبية في الجزائر لم تلبث أمدا طويلا ، فقد عرفت هذه الحركة نهضة

[1] محمد ساري ،النقد الأدبي مناهجه وتطبيقاته عند الدكتور محمد مصايف ، رسالة ماجستير ، معهد اللغة والأدب ، جامعة الجزائر ،1992 – 1993 ، ص42.49

[2] عبد الله قرين، النقد الأدبي في الجزائر1830–1982، رسالة ماجستير ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة حلب سوريا 1987 ص28

[3] عمـار زعمـوش ،النقـد الأدبـي المعاصـر قضـاياه و اتجاهاتـه ، مطبوعـة جامعـة منتـوري ، قسـنطينة ، الجزائـر 2000 ـ2001 ص138

فكرية من قبل النقاد الجزائريين الذين احتكوا بالثقافة الغربية مثل:(أبو قاسم سعد الله) و(عبد الله الركيبي) و(محمد مصايف) و(صالح خرفي).

فالتغريب الثقافي الذي فرضه الاستعمار أنتج لدى هؤلاء الأدباء والنقاد الجزائريين وعي ثقافي أدي بهم إلى" الالتفات حول الثقافة الوطنية والاحتماء بالمرجعية التراثية والقومية لمقاومة كل أشكال الغزو برؤية واقعية تاريخية تجعل من الأدب رسالة ثورية ذات غاية إيديولوجية أساسا."[1] وتمثلت هذه النهضة الفكرية في إبداعات النقاد الجزائريين في تقديم بحوث ودراسات أكاديمية وتأليف مؤلفات نقدية وأدبية نشرت في الصحف والمجلات والجرائد الوطنية ،بهدف التعرف على الأدباء الجزائريين والطاقات الإبداعية التي يحملونها هؤلاء الأدباء هي جهود فكرية تحمل طموحات الثورة و الاستقلال الثقافي .

ومن هذه الجهود نخص بالذكر منها دراسة (عبد الله قرين) في (النقد الأدبي في الجزائري1930–1982) ودراسة (يوسف وغليسي) المعنونة (بإشكالية المنهج والمصطلح في تجربة عبد المالك مرتاض) كما نجد بعض الدراسات النقدية والأدبية التي قامت بإعادة قراءة الناقد (عبد الله ركيبي) حيث أهتم بالشعر من خلال دراسته (الشعر الديني الجزائري) وكذا كتابه (الشعر في زمن الحرية) ، كما أهتم الناقد (محمد مصايف) بالمناهج النقدية في المغرب العربي في كتابه (النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي)." [2]

بعد الأوضاع التي عاشها المجتمع الجزائري التف جل الأدباء والنقاد إلى دراسة ووصف الظروف التي يعيشها المجتمع وذلك باتخاذ النقد الاجتماعي والواقعي كمنهج إجرائي لتحليل

[1] رابح طبحون ، التجربة النقدية عند عبد الله الركيبي، رسالة ماجستير ،كلية الآداب واللغات ،جامعة منتوري ، قسنطينة،1999 ص43

[2] عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث،الدار العربية للكتاب، ليبيا ، تونس،1978 ، ص 258 بتصرف

الدراسة الأدبية الاجتماعية باعتبار أن النقد الاجتماعي كان يساير الأوضاع السياسية والوطنية والعالمية لتلك الآونة ، كما كان هذا المنهج أقرب للمبدع في تعبير عن همومه وشعبه الذي يعاني من ظلم الاستعمار ، ليزداد ترسيخ المنهج الاجتماعي في النقد الجزائري الحديث بعد الاستقلال لتأثير الإيديولوجية السائدة آنذاك لتصبح وظيفة الأدب وظيفة اجتماعية ونتج عن هذا ما يسمى بأدب الالتزام الذي ينقل الأديب من خلاله واقع مجتمعه كما هو دون تحريف أو تحيز، من النقاد الذين تناولوا هذا النقد.

ضمن هذا الإطار" ظهرت موجة نقدية عارمة تدعوا إلى التجديد على البعد الاجتماعي للنص الأدبي ، وتقاربه من مدى تمثله لهذه الزاوية ومدى مواكبته لهذه التحولات الاجتماعية الجديدة وبدأ الخطاب النقدي في الجزائري ينفتح على خطابات إيديولوجية كفلسفة (كارل ماركس) وأخرى أدبية نقدية (لوكاتش) و(غولدمان) مثلما بدأ البحث يتعمق في علاقات الأدب للإيديولوجية ، على النحو الذي فعله المرحوم (عمار بلحسن1993) ، ويفعله (الأعرج واسيني) في جل دراساته ، وامتد ذلك حتى إلى حقل الترجمة ، حيث ترجم (مرزاق بقطاش) كتاب الرواية (لجورج لوكاتش)." [1]

و من بين النقاد و الأدباء الذين تناولوا الالتزام في النقد الاجتماعي الجزائري الحديث

1ـ عبد الله الركيبي

يعد (عبد الله الركيبي) من النقاد الجزائريين الأوائل الذين اهتموا بدراسة المناهج النقدية السياقية في الأدب الجزائري الحديث ، ويتضح ذلك من خلال مؤلفاته والتي نخص بالذكر منها":دراسته للمنهج الاجتماعي في الشعر الجزائري الحديث حيث يعد المنهج الاجتماعي

[1] يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللاسونية إلى الألسنية ، ص42

مفتاح التفسير الاجتماعي للأدب يقول:"على أن اهتمامنا انصب في تحليلنا للنصوص الشعرية على الجانب الاجتماعي وركزنا عليه وربطنا بين الشاعر و أدبيته وبين المنشئ وجمهوره و اعتبرنا الشعر لدى المنشئ تعبيرا عن ذاته وفي الوقت نفسه تعبيرا عن ظروف المجتمع و معطيات العصر و ما وجد فيه من أزمات روحية وفكرية وسياسية و اقتصادية ، وإذ كنا نلح على التفسير الاجتماعي للأدب دون إهمال الجوانب الأخرى فلأننا نؤمن بأن الشعر نشاط إنساني يعكس ما يجري في بيئة الشاعر من أحداث و وقائع ومفاهيم".[1]

يرى عبد الله الركيبي أن الأديب يجب أن تكون له الحرية في الإبداع والتعبير، وموقف عبد الله الركيبي يدل على انه يشعر شعورا قويا بأن أي إرهاب كان مصدره لابد أن يمنع الأديب من القيام برسالته ويعطل سلاح الكلمة من أن يحقق مفعوله في النفوس وهو يتأكد من أنه:"يصعب أن يوجد تيار قوي للأدب يعبر عن مصالح الطبقات الكادحة من عمال وفلاحين لأن هذا يتطلب مناخا خاصا وهذا المناخ يتمثل في حرية الأديب في التعبير عن أرائه وأفكاره دون إلزام وتوجيه ،من السلطات والدولة، فبغير حرية ويعنى بها حرية الأديب في اتخاذ المواقف التعبير عنه بالوسائل والأساليب المواتية ، لا يوجد أدب صادق وملتزم ، أدب أصيل أدب يصدر عن إرادة حرة و اقتناع وتفكير سليم."[2]

ويفسر الركيبي إلزام الحرية للأديب " لأن هذه الحرية هي التي تفجر عواطفه نغما وجيشًا، يتغنى بآمال الإنسان الملتزم ، ويعبر عن الأمة وأحلامه و عن همومه ، وعن حاضره ومصيره ، فإن مات حجرت هذه العواطف وجفت تحت ضربات السوط ، سوط الإرهابي فلن يغني هذا الإنسان ولن ينشد وإن غنى فغناؤه لن يكون غناءًا خالصا جشيًا، يتمثل الإرهاب في

[1] المرجع السابق ، ص 43.42

[2] صباح لخضاري، النقد الأدبي الحديث بين أزمة المنهج والبحث عن التأصيل ، المركز الجامعي النعامة ، الجزائر، ص30

نظر الركيبي في التسلط الاستعماري والرجعي ، وتسلط بعض النظم الاشتراكية غير الديمقراطية كما وقع في عهد ستالين بروسيا."[1]

نظرا للقيود التي فرضتها أنظمة الحكم الاشتراكية و السلطة على الأديب " أصبحت الفنون الأدبية أقرب ما تكون إلى الدعاية السافرة الأمر الذي دفع الكاتب والشعراء إلى أن يعلنوا سخطهم على هذا التحكم في روح الفنان والأديب ، لأن الأدب والفن يتغذيان بالحرية أولا و أخيرا ، الحرية التي يلتزم بها الأديب والفنان اتجاه عصره وقضايا وطنه والإنسان عامة لا الحرية التي يلزم بها الفنان إزاء الدولة الحاكمة ".[2]

ولذلك أن الإبداع عند الأديب هو نتاج علاقة تفاعلية بين الفن والمجتمع ، و الأديب هو جزء من هذه العلاقة فهو بمثابة " صورة للحياة و التعبير عنها يؤثر فيها ويتأثر بها لأنه ببساطة هو تعبير عن الإنسان في هذه الحياة "[3]، على أن لا يكون هذا التعبير نقلا آنيا للواقع بل للتأثير والتفاعل مع هذا الواقع في حدود الالتزام بقضايا الأمة .

كما تعد الأجناس الأدبية : "هي المحرك الحقيقي لروح الشعب والمعبرة عن حياته المادية والروحية ومن ثم لابد أن تكون غاية الإنسان لا للجمال فقط ،فلا يخفى على أحد أن الأدب كان دائما هو الشرارة الأولى التي انطلقت من الثورات الكبرى... تلك الثورات التي حررت الإنسان من الظلم والسيطرة والعبودية."[4]

عرف مصطلح الالتزام عند (عبد الله الغذامي) تطورا في المفاهيم عبر مرحلتين :" فقط ارتبط عنده مفهوم الالتزام بالثورة فكرر مصطلح (الأديب الملتزم الثوري) في المرحلة الأولى

[1] المرجع سابق ،ص 30

[2] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

[3] جمال قديد ، تاريخية النقد الجزائري الحديث، مجلة الآفاق للعلوم ، الجلفة ،العدد5 ، 2016 ، ص126

[4] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

ثم تجاوزه فيما يعرف (بالأدب الملتزم) ، كما ورد في مبادئه العامة في إطار الواقعية الاشتراكية حيث يلتزم الأديب بالدفاع عن الطبقة العاملة ، ويبرز جهود البناء الذي تحقق في ظل المجتمع (البروليتاري) التي تسوده العدالة الاجتماعية والحرية مثلما تنادي به كتابات (لينين) و(ماكسيم جوركي) و (مايا كوفيسكي) و رغم الاختلاف الفلسفي مع مبادئ هذه النظرية إلا أن عبد الله الركيبي ينطلق من رؤية اشتراكية قومية تتفق في المبدأ وتختلف في المفهوم."[1]

2ـ محمد مصايف

يعد (محمد مصايف) من النقاد الذين تبنوا النقد الواقعي أو ما يعرف بنقد الالتزام وهذا ما نجده في مؤلفاته النقدية من بينها النقد الأدبي في المغرب العربي ، النثر الجزائري الحديث الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية و الالتزام ، فصول في الأدب ، و النقد الجزائري الحديث.

إن المتفحص في نقد محمد مصايف يجده قد تأثر بشخصيات نقدية ساهمت في تأسيس الفكر النقدي الجزائري ، ومن بين هذه الشخصيات (طه حسين) عميد الأدب العربي وقد أعترف مصايف الجهود النقدية لطه حسين يقول: " بوفاة الدكتور طه حسين قد اختفى جيل من الشيوخ ومن الأدباء والنقاد نهائيا ، وقد كان للفقيد الراحل أبرز ممثلي هذه النهضة طوال ما يقارب من نصف قرن كلي ، إذا إليه وإلى أفراد جيله ، يعود الفضل الأول لأي خروج الأدب العربي من حالة الانحطاط و التقوقع." [2]

كما تأثر محمد مصايف بفكر مدرسة الديوان بزعامة (عباس محمود العقاد) و (عبد الرحمان شكري) و (المازني) رغم معارضته لهذه المدرسة النقدية ، إلا أنها كانت

[1] رابح طبجون ، النقد الأدبي مناهجه وقضاياه عند الدكتور عبد الله الركيبي ، مجلة المعيار ، الجزائر، العدد12 ، ص350

[2] محمد مصايف ، دراسات في النقد و الأدب ، ص217

منطلق لأفكاره النقدية من خلال نقده لها ،أما التيارات الغربية التي استسقى منها محمد مصايف هو ما كتبه المستشرقين أمثال المستشرق البلجيكي (جان فلوف) في اللغة العربية حيث استفاد من دراسة هذا الأخير ، كما درس أيضا لعدة مستشرقين أمثال (لويس ماسيوس) (أرمان أبيل) إضافة إلى النقاد والمفكرين الفرنسيين أمثال (جان نوي) و(جون بول سارتر) و (بيان جيرو) .

ينظر محمد مصايف إلى وظيفة الأدب خلاف نظرة بعض النقاد و الأدباء ، فهم يحصرون وظيفة الأدب للفن حيث يقتصر على ترقية النفس أو الفرد ، وفي هذا الصدد أنتقد محمد مصايف رواد مدرسة الديوان التي أخذت بنظرية الفن للفن.[1]

يرى محمد مصايف أن للأدب غاية وان غايته خدمة المجتمع ، وليس لإمتاع النفس يقول : " الفن تعبير صادق عن ما يعانيه الشعب العربي من غبن اجتماعي و أن الأدب لسان الجماهير الشعبية الكادحة ، وذهب بعض أنصار هذه النظرة إلى الدعوة إلى الالتزام لغة هذه الجماهير".[2]

و يعد المصايف من النقاد الذين دعوا إلى الالتزام في الأدب مع المحافظة على الشكل الأدبي وعدم الغلو على أن تتحول الكتابة الأدبية إلى كتابات الصحيفة فكان يرى: " ليس دعوة إيديولوجية مجردة ، بل هو دعوة في قالب فني معين ، وبقدر ما يفقد هذا القالب لقيمته الفنية

[1] خلف الله بن علي ، التجربة النقدية لدى محمد مصايف ، مجلة الدراسات المعاصرة ، العدد1 ،المجلد3 ، ألسنة و مختبر الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة، المركز الجامعي تسمسيلت الجزائر،جانفي 2015 ، ص42-43 بتصرف

[2] المرجع نفسه، ص 60

بقدر ما تفقد الدعوة الاجتماعية أو الإنسانية من عمقها... والرسالة لا يؤديها الفن إلا عن طريقة اللفظ والإيحاء ، و الصورة والفكرة ، وحرارة عاطفة مجتمعه ".[1]

إن الالتزام في نظر محمد مصايف لا يكون الأديب إلا إذ كان ما يلبثه جزءا من نفسه وهذا ما يتطلب من الأديب الإيمان وهو ما يدعوا إليه.

كما أن الالتزام يختلف من مجتمع إلى مجتمع آخر يقول: " ليس واحدا فكل المجالات و لا في جميع البلدان ، هو شكل يتكيف بنوعية الظروف التي تحيط بالأديب ، و هو الالتزام الذي يتماشى والنظرة القائلة هو بأن الأدب صورة صادقة للمجتمع الذي ظهر فيه." [2]

و يعني هذا الالتزام في دولة اشتراكية ليس كالتزام في دولة بحكم رأس مالي و الالتزام البرجوازي يختلف عن الالتزام العمالي ، و الالتزام ليس توجيها أو تقيدا ، بل هو نوع من النضج والشعور بالمسؤولية اتجاه المجتمع ، ويصرح المصايف قائلا:" إن الهدف من الالتزام الأدبي ليس هو التعبير عن أهداف المجتمع ومسائله فحسب وما تفعله الواقعية النقدية بل هو تشخيص ما يضطرب في نفسية الجماهير وتحديد الخط التي تسير فيه هذه الجماهير من مستقبل أفضل".[3]

ويضيف أيضا " إن الالتزام الأدبي بقضايا مجتمعه وشعبه لا ينبغي أن يجره إلى ضرب من الإقليمية قد تكون شرا من الذاتية الرومانسية ، لأن هذه الأخيرة كانت لا تفيد المجتمع من

[1] محمد مصايف، دراسات في النقد و الأدب ، ص60-61

[2] المرجع نفسه ، ص 62

[3] محمد مصايف ، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ص24.23

وجهة نظر الواقعية و أنها لا تشكل خطرا على مستقبله ، الأمر الذي لا يمكن أن تؤكده بالنسبة للأديب الإقليمي الذي يزداد من اتساق الهو الذي تفسد الأشقاء المنتمين إلى عرق واحد."[1]

عندما نمعن النظر في أجناس الأدب الجزائري المختلفة نجد أن القصة قد احتلت مكانة هامة من بين فنون النثر بعد الاستقلال بحيث هناك العديد من القضايا التي عالجتها القصة مثل الثورة ، الوطن ، والحضارة العربية .

إن أول ما يميز القصة الجزائرية هو الأرضية الأدبية الاجتماعية والوطنية والقومية التي تنطلق منها ، كما أن للقصص دور بارز في نقل القضايا الاجتماعية للواقع من خلال أحداث القصة.

يرى (الطاهر وطار) أن " الكاتب يحتل وضعا وسطا بين الشاعر والشعب و الجيش والحاكم الشعب الطيب الذي يحلم بمستقبل زاهر ويقف مستعدا لكل عمل من شأنه تغيير الأوضاع الاجتماعية ، والجيش الذي كثيرا ما تولى الحكم في بلدان العالم الثالث ، و الذي لا تتفق قضاياه بالضرورة مع قضايا الطبقة المحرومة من المجتمع ."[2]

و يضيف قائلا :" إن المثقف مناضل ملتزم بقضايا الجماهير بالدرجة الأولى و بما أن هذه القضايا قد تتضارب مع قضايا الحكم ، فإن أول شيء يتحلى به الأديب هو الجرأة وحرية الرأي في قوة العمق ، وليس من اللازم أن يقاطع الأديب المنظمات الرسمية ليعبر عن رأيه بكل حرية ، بل المطلوب منه أن لا يكتفي بالمواقف السلبية ، ومراعاته لجهة

[1] المرجع السابق ، ص 218

[2] محمد مصايف ، النثر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، ب ط،1983 ، ص10

رسمية معينة كما يفعل بعض المثقفين في البلدان العربية إما لضعف شخصياتهم و إما افتقارهم للأصالة في مواقفهم."[1]

فالأديب الملتزم كما يرى محمد المصايف في كتابه (النثر الجزائري الحديث) " ينبغي أن يتبع قناعته في إطار الإيديولوجية الاشتراكية وأن يكون كالتزام للعامل المناضل الذي لا ييأس من إصلاح الأوضاع ، ويتحمل من أجل المحافظة على الخط الاشتراكي كل ما يصيبه من أتعاب." [2]

ويضرب محمد مصايف بالرواية (جيلالي خلاص) حيث يهتم هذا الأخير في متنه الروائي برسالة الأديب في هذه المرحلة فيطلب بأدب ملتزم يخدم قضايا مجتمع ما ، كما أنه يرفض الأدب العابث أو الساخر ، حيث عبر عن ذلك في قصة (ليلى بيضاء) يقول: "أن يوقظ غرائز الناس بوصف الأدوار الغرامية والنهود الكاعبة والسيقان المدملجة والشفاه الكرزة والآليات الملمومة الراقصة.

ويرفض خلاص الأدب العابث لأنه يتنافى الدور النضالي الذي ينبغي أن يقوم به الأديب ، فليس الوقت وقت التسلية وتغنى بالجمال وإيقاظ الغرائز الحيوية و من الواضح أن القاص لا يرفض الأدب الغرامي في ذاته ، وإنما يقصد هذا الأدب الذي لا يعبر عن أي موقف إنساني عام هادف ، و لا يخدم القضية الاجتماعية التي تناضل جماهيرنا من أجلها هذه القضية ومثيلاتها ، هي التي ينبغي أن يسندها الأديب في عمله."[3]

وفي دراسة المصايف المعنونة (بالرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية و الالتزام) نجد أنه يصنف الروايات المدروسة بحسب طبيعة موضوعها ، فنجد الرواية

[1] المرجع السابق، ص 10

[2] المرجع نفسه، ص 11

[3] المرجع نفسه، الصفحة 12.11

الإيديولوجية ، الرواية الهادفة الرواية الفلسفية ،الرواية الواقعية ،الرواية الشخصية...، أما بنية النص الروائي فلا تظهر إلا بشكل ضئيل لأن الكم الإجمالي المنصب على المحتوى الموضوعي للنص وما يعتج فيه من صراعات طبقية ، فالمعيار الأساسي للحكم في تحديد قيمة الفن الروائي أو القصصي عن محمد مصايف هو الإلتزام ، فنجده يحكم على رواية (نار ونور) لعبد المالك مرتاض بأنها نزلت إلى درجة الجودة ، لا لشيء ، إلا أن صاحبها قلل من أهمية الموقف الملتزم الذي وقفه مع الثورة مقابل اهتمامه الخاص باللغة وأساليبها"[1]

وفـــي موضـــع أخـــر " درس محمـــد مصـــايف النقـــد الاجتمـــاعي فـــي روايـــة (ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة) ، حيث تعد أول رواية جزائرية حديثة من حيث استقائها لشروط الفن الروائي، كما أنها تعالج موضوعا اجتماعيا معني بدراسة المجتمع الجزائري." [2]

ودرس محمد مصايف من حيث شكل رواية (ريح الجنوب)الحياة الاجتماعية للعائلات الجزائرية ، والمكان الذي تدور فيه الأحداث هو الريف الذي يتميز بقساوة الطبيعة

وقد صور (بن هدوقة) في روايته معاناة المجتمع الجزائري الساكن في الريف و الذي يفتقد إلى أدنى ضروريات الحياة مثل: الماء ، العمل ، فانعدام وجود ضروريات الحياة قد يؤثر سلبا على الحالة الاجتماعية و النفسية لسكان القرية." [3]

أما من ناحية المضمون يرى المصايف أن عبد الحميد بن هدوقة في روايته أهتم بالأسلوب واللغة اهتماما كبيرا بقدر ما أهتم بالأفكار ، و إن دل هذا إنما يدل على شيئين هما :اهتمام بن هدوقة بالثقافة العربية على تراثها مما يضفي على لغته وأسلوبه الفنية والجمالية

[1] المرجع السابق ، الصفحة نفسها

[2] يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللاسونية إلى الألسنية ، ص47-48 بتصرف

[3] رزاق بعرة مروة ، النقد الاجتماعي عند المصايف، من خلال كتابه الرواية العربية الجزائرية بين الواقعية والالتزام ، رسالة ماستر ، كلية الآداب واللغات،جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، 2015-2016 ،ص34- 35 بتصرف

و الأدبية وثاني شيء هو مفهومه للفن بحيث يرى أن الفن هو نص يحمي الأفكار والمواقف الاجتماعية " و يتضح من خلال ما سبق ذكره أن محمد المصايف قد صنف رواية ريح الجنوب تحت إطار الاتجاه الاجتماعي الواقعي ، ويرى أن الغاية منها هي أنها نتاج أدبي واقعي يلتجأ مبدعه أحيانا إلى الأساليب الرومانسية المؤثرة التي تطغى عليها هي وصف المجتمع الجزائري كل ما يحيط به من مشكل."[1]

يختم محمد المصايف دراسته لهذه الرواية في إطار الاتجاه الواقعي الاشتراكي و التي يهدف من خلاله إلى وصف المجتمع الريفي الجزائري وما يعانيه من مشاكل تعرقل تطوره وتحرره من القيود الإقطاعية والبرجوازية.

وفي الأخير يمكن القول أن المصايف على الرغم أنه غلب الجانب الاجتماعي وتطلعات الجماهير المناضلة في دراسته الأدبية والنقدية ، على إننا نجده في مواضع دراسته يجمع بين الأدب والإيديولوجية ، و بين الالتزام والفن ، فهو لا يتصور خارج الفن وعكس ذلك فالأديب ينبغي عليه أن يعيش مشاكل مجتمعه ويعيشها بشكل إيجابي ويعبر عنها بفن جميل.[2]

3 ـ واسيني الأعرج

يعـد الناقـد و الروائـي واسـيني الأعـرج مـن أكثـر النقـاد الجزائـريين اقترابـا مـن النقـد الاجتمـاعي ، و أصـوله الفلسـفية ، ممـا أهلـه ذلـك لأن يكـون أكثـر منهجيـة لمقاربـة الروايـة الجزائريـــة فـــي ضـــوء المـــنهج الاجتمـــاعي كمـــا جـــاء ذلـــك فـــي كتابـــه (اتجاهات الرواية العربية في الجزائر).

[1] المرجع السابق ، ص 35 بتصرف

[2] عبد الصدوق عبد العزيز، واقع النقد الأدبي الحديث والمعاصر، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات والفنون ، جامعة السانيا، وهران ، 2010-2011 ، ص110 بتصرف

حيث يرى أن الرواية نتاج الثورة الوطنية من خلال منطلقاتها السياسية و الاجتماعية و الثقافية كما يرى أيضا أن هناك ثلاث اتجاهات كان لها دور هام في بلورة الوعي الجماهيري و استقلال الجزائر أولها كانت مرتبطة بثورة الفلاحين سنة 1871 ، حيث ساهمت بشكل كبير في تشكل الفكر الاشتراكي في الجزائر ، و الاتجاه الثاني ارتبط بانتفاضة 1945 ، و صادف هذا الظهور أول رواية عربية (غادة أم القرى) لأحمد رضا حوحو سنة 1947 ، في حين يتمثل الاتجاه الثالث بظهور مجموعة من الروايات الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.[1]

اتخذ واسيني الأعرج مصطلح الطبقة بديلا عن مصطلح الالتزام وقد اتخذ منه " مفتاحا بديلا لمواجهة النص فهو يركز كثيرا على التناقضات الاجتماعية في النص و ما يمكن أن تفرزه من صراعات طبقية لاسيما نضال الطبقات المحرومة ضد الإقطاعية و البرجوازية."[2]

و من منظور اجتماعي ربط واسيني الأعرج ظهور الرواية في الجزائر بظهور الوعي الاشتراكي ، في ظل سيادة البرجوازية و الرأسمالية الاحتكارية ، على حساب الطبقة الإقطاعية الأكثر بؤسا ، هذا من ناحية ، و من ناحية أخرى يربط ظهور الرواية بالمفاهيم و الفكرية الثقافية و الدينية التي تمثل قيم و مبادئ المجتمع الجزائري المسلم ، فمنذ مدة عقود طويلة عمل الاستعمار الفرنسي على زعزعة أركان ثقافة الشعب الجزائري ، عن طريق محاربة اللغة العربية و التعليم و طمس الهوية الجزائرية حتى مجيء جمعية علماء المسلمين التي تصدت

[1] خلف الله بن علي ، تطبيقات النقد الاجتماعي في النقد ألجزائري : قراءة في المصطلح و الخطاب الإيديولوجي **جسور المعرفة** ، معهد الآداب و اللغات ، المركز الجامعي ، تسمسيلت ، الجزائر ، العدد03 ، المجلد 04، 2018 ص 175 بتصرف

[2] يوسف و غليسي ، النقد الجزائري المعاصر من اللاسونية إلى الألسنية ، ص 51

للمستعمر بفضل جهود أفكار و معارف علمائها أمثال الشيخ عبد الحميد بن باديس و البشير الإبراهيمي و محمد العيد آل الخليفة.[1]

تطرق واسيني الأعرج في كتابه (اتجاهات الرواية العربية في الجزائر) في الباب الأول تحديدا في الفصل الثاني إلى التحولات في مضامين الرواية الجزائرية ، فبعد المحاولة الأولى لأحمد رضا حوحو (غادة أم القرى) بعدها لم تظهر محاولة جادة إلا مع الطاهر و طار و قد اخرج هذا الأخير الفن الروائي و القصصي من الموت اللغوي و رتابة المضامين المستهلكة في سبعينيات القرن الماضي مع رواية اللاز التي تعد انجازا فنيا بكل المقاييس حيث طرح بكل واقعية و موضوعية قضية الثورة.[2]

كما جسد في دراسته لرواية اللاز (للطاهر و طار) مشاكل الحركة الوطنية و اتجاهات أحزابها و مطالبها ... ثم بعد ذلك تحول للكتابة عن الثورة ألزراعية ، كما عدَ رواية الزلزال لنفس الروائي طرح سياسي في صالح الثورة الزراعية و كرد فعل على النظام الرأسمالي التي تحكم به الطبقة البرجوازية ، و المتفحص لدراسات النقدية لواسيني الأعرج يجد بأنه يؤمن بالثورة الزراعية و التسيير الاشتراكي للمؤسسات ، باعتباره كفرد من الطبقة الاجتماعية الاشتراكية ، كما أنه مؤسس للواقعية الاشتراكية على مستوى النقد الاجتماعي و الفني و الجمالي.[3]

و في حديثه عن ميلاد و نشأة الاشتراكية يرى أن" النكبات و الاضطرابات الثورية التي أصابت العالم قد أدت إلى ولادة الواقعية الاشتراكية ، و التي ترتكز على نضالات الطبقة

[1] المرجع السابق ، ص51 بتصرف

[2] خلف الله بن علي ، تطبيقات النقد الاجتماعي في النقد ألجزائري : قراءة في المصطلح و الخطاب الإيديولوجي ، ص 176 بتصرف

[3] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها، بتصرف

العاملة التي لعبت دوراً حاسما في نشوء الواقعية الاشتراكية ... تعكس نضال الطبقة العاملة من أجل تحقيق المثل العليا للاشتراكية."[1]

و تجدر بنا الإشارة إلى أن واسيني الأعرج درس أصول الواقعية الاشتراكية في روافدها الغربية معتمدا على أشهر المفكرين الغربيين الذين أبدعوا في هذا المجال أمثال (بوريوس سوتكشوف، جورج لوكاتش ، كارل ماركس) ، إضافة إلى اطلاعه على المؤلفات النقدية لنقاد عرب أمثال (صلاح فضل، شكري غالي ، فيصل دراج).

بعد الدراسة النظرية للمنهج الاجتماعي قام بتطبيقه على مجموعة من الروايات الجزائرية و التي اختار أن تكون رواية (الزلزال) موضوعا لدراسته ، حيث يرى أن هذه الرواية تعبر عن التحولات الزراعية التي حدثت في الجزائر ، ويرى أيضا أن الثورة الزراعية التي يجسدها وطار في روايته الزلزال هي الوجه المشرف لهذه النضالات التي قادها الفلاحون في الجزائر على مر السنوات من 1830 إلى 1954 مرورًا بكل الثورات الشعبية التي استطاع المستعمر إخمادها ، و من خلال أحداث الرواية يقدم لنا واسيني قراءة نقدية اجتماعية متميزة معتمدًا على آليات هذا المنهج النظرية و التطبيقية كما ذكرنا سابقا فنجد الناقد يؤسس للمنهج الاجتماعي في الدرس العربي بوعي منه للمعطيات الابستمولوجية لدى روافدها في الغرب . ثم يقوم بإسقاط هذه النظريات على النص الروائي الجزائري بطريقة تدل على معرفته و درايته بخبايا هذا المنهج و كيفية التعامل معه و تطبيقه على النص الجزائري .[2]

[1] خلف الله بن علي ، تطبيقات النقد الاجتماعي في النقد ألجزائري : قراءة في المصطلح و الخطاب الإيديولوجي ، ص 177

[2] المرجع نفسه ، ص 178 .177بتصرف

الفصل الثاني

محمد العيد آل الخليفة نشأته و ثقافته

نشأته

هو محمد العيد بن محمد علي بن خليفة من محاميد سوف المعروفين من أولاد سوف و لد في مدينة عين البيضاء بتاريخ 28 أوت 1904م، الموافق لـ 27 جمادى الأولى 1323هـ تلقى محمد العيد تعليمه للقرآن و الدروس الابتدائية حيث حفظ القرآن الكريم وعمره لم يتجاوز الثانية عشرة من العمر، كما تلقى الحديث و أصول الدين و اللغة عن الشيخين محمد الكامل بن عزوز و أحمد بن ناجي، بعد ذلك انتقل مع أسرته إلى بسكرة سنة 1918، و واصل دراسته بها على المشايخ علي بن إبراهيم، العقبي الشريف و المختار بن عمر اليعلاوي و الجندي أحمد المكي.[1] و قد امتاز بتعمقه خاصة في علوم الفرائض و النحو و الفقه ، و قد تأثر محمد العيد بفكر معلمه الشيخ علي بن إبراهيم ، في الزهد و التصوف .

و في عام 1921 غادر الشعر محمد العيد آل الخليفة إلى تونس قبلة البعثات الطلابية آنذاك و التحق بجامع الزيتونة ، ودرس سنتين ثم رجع سنة 1923 إلى بسكرة و شارك في حركة الانبعاث الفكري بالتعليم و النشر و الصحف و المجلات، كمجلة صدى الصحراء للشيخ أحمد بن العابد العقبي و جريدة المنتقد و الشهاب للشيخ عبد الحميد بن باديس و الإصلاح للشيخ الطيبي العقبي. [2]

و نظرًا لاتساع ثقافته في الفكر الديني و الثقافي و الاجتماعي دعي إلى العاصمة للتعليم بمدرسة الشبيبة الإسلامي الحرة سنة 1927م " حيث مدرسًا بها و مديرًا لها مدة اثنتي عشرة عامًا، وفي هذه الفترة أسهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و كان

[1] ديوان محمد العيد آل الخليفة ، دار الهدى الجزائر، ب ط، سنة 2010 ص 544 بتصرف

[2] المرجع نفسه، ص 544 بتصرف

من أعضائها العاملين ، و نشر من قصائده في صحف الجمعية(البصائر ، السنة ، الشريعة الصراط) و كذا في صحيفتي (المرصاد و الثبات) لمحمد عبباسة الأخضري".[1]

بعد نشوب الحرب العالمية الثانية غادر العاصمة الجزائرية و توجه إلى بسكرة سنة 1940م " ومنها دعي إلى باتنة للإشراف على مدرسة التربية و التعليم إلى سنة 1947م ثم إلى عين مليلة لإدارة مدرسة العرفان إلى سنة 1954م و بعد اندلاع الثورة الكبرى أغلقت المدرسة و ألقي القبض عليه و زج به في السجن و امتحنته السلطة الاستعمارية بعد إطلاق سراحه بمحنة غاشمة و فرضت عليه الإقامة الجبرية ببسكرة فلبث بها معزولاً عن المجتمع تحت رقابة متشددة إلى أن فرج الله عليه و على الشعب الجزائري بالتحرير و الاستقلال". [2]

عانى محمد العيد كثيرًا من آلام مرضه فألزمه الفراش مدة طويلة ، و في 7 رمضان سنة 1399 الموافق لـ31 جويلية 1979، توفي محمد العيد بمستشفى باتنة ، و دفن في بسكرة رحمه الله .

ثقافته

يعد محمد العيد آل الخليفة من بين رموز الفكر الثقافي و الإسلامي في الجزائر، و يعد كذلك " من رواد الشعر العربي الحديث ، لقبه البشير الإبراهيمي بـ « شاعر الشباب ، شاعر الجزائر الفتاة و شاعر الشمال الإفريقي»" [3]، فشعره شعر قديم في تراكيبه و أوزانه و قوالبه و جديد في روحه و موضوعاته ، وفي شعره خصائص القصيدة العمودية و الصور التقليدية و تنوع أغراضه الشعرية فمنها المراثي ، و الوصف و الوطنيات و المدائح و الدينيات

[1] المرجع السابق ، ص 544

[2] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

[3] علي عدالتي نسب، الفكرة السياسية في شعر محمد العيد آل خليفة ، مجلة آداب البصرة ،العدد 83 ،2018 ص 120

و الاجتماعية و الاخوانيات. كما كان له دور كبير في الساحة الأدبية و الروحية و السياسية الجزائرية يقول فيه البشير الإبراهيمي : " رافق شعره النهضة الجزائرية في جميع مراحلها وله في كل نواحيها، و في كل طور من أطوارها، وفي كل أثر من آثارها ـ القصائد الغرر و المقاطع الخالدة . شعرـ لو جمع سجل صادق لهذه النهضة و عرض رائع لأطوارها". [1]

و ما يثبت " صحة هذه الأوصاف تلك الحياة الصاخبة التي عاشها، و كانت نابضة بالشعراء و الجهاد الفكري و التي ترجم معظمها تراثه الشعري المبثوث في ديوانه الذي حوى مائتي نص شعري أغلبه قصائد طوال كان فيها محمد العيد من أقوى الشعراء الجزائريين تمثيلا للشعر العربي الصميم في صياغته و نظمه."[2]

في سنة 1952م جمع أحمد بوعدو تلميذ الشيخ محمد العيد قصائد الديوان و تم طبعه سنة 1967 " و لكن الأستاذ محمد بن سمينة كشف عن قصائد للشاعر لم تنشر، جمعها من الصحف القديمة ، ومن النسخة المخطوطة من ديوان الشاعر ، و من أسرته و معارفه ، وهي بذلك تكملة و استدراك على الديوان، و نشرها في كتاب وسمه بـ(العيديات المجهولة). كان الشاعر محمد العيد ينطلق في شعره من أربع كليات هي : الوطن و العروبة و الإسلام و الإنسانية، فكان سجلا أمينا لأحداث الوطن الصغير و الكبير على السواء و معبرًا عن آمال و آلامها و لا تكاد تخلو قصيدة من الطابع الديني حتى في القصائد الذاتية و قصائد الرثاء و الوصف". [3]

[1] المرجع السابق ، ص 120،121

[2] المرجع نفسه، ص 121

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

إن الدارس للديوان الشعري لمحمد العيد آل الخليفة يجد أن هذا الأخير قد تطرق إلى الشعر الديني من خلال بعض القصائد الذي " كان أغلبه مدائح نبوية و توسلات بالرسول و الصحابة و الأولياء، و قد تجلى هذا الاتجاه بوضوح بعد تعرض الجزائر لحملات الدول الأجنبية ، و الشعر الديني عند محمد العيد يمثل أغلب شعره وهو شعر إصلاحي و الإصلاح سمة غالبة الشخصية، و هو في شعره لم يتناول قضايا فلسفية أو عقلية مجردة، كان يقتبس من القرآن الكريم و السنة النبوية، ويوظف التاريخ الإسلامي المشرق، وبعض مواقف أعلامه و رجاله في الرسالة التي يحملها و القضايا التي يدافع عنها.[1]

يعد الشاعر محمد العيد آل الخليفة " الشعب الجزائري مصدر إلهامه و فكره وخلاقيّته و لهذا الأمر يقف إلى جانبهم و يدعوا الشعب أن يرافقوه في هذا الأمر بعملهم و أقوالهم و يهدي ديوانه إلى الشعب و صدقه إزائهم وحبه لهم.

و هذه الأمور تنعكس في شعره بصورة جلية و كما سنرى يتحدث الشاعر في ديوانه عن الشعب الجزائري و آلامه و أحزانه و أفراحه و يقف إلى جانبهم في جميع الأمور و يشيد بأبنائه و أبطاله ومناضليه أمام الاستعمار و يشجعهم على الجهاد السياسي و العلمي و الديني".[2]

و على إثر هذا يقف محمد العيد كشاعر ملتزم إلى جانب مواطنيه و ينشد معهم الحان التحرر و الوحدة الإنسانية و الأهم من هذه الأمور كلها يناوئ الاستعمار و يظهر مكره و يفضح خداعه .

[1] شارف لطروش،الشعر الديني عند محمد العيد آل خليفة ، (مجلة حوليات التراث)،العدد الثاني،الجزائر2004 ص 68.67

[2] علي عدالتي نسب، الفكرة السياسية في شعر محمد العيد آل خليفة، ص 121

محاور الالتزام في شعر محمد العيد آل الخليفة

تعالت أصوات الخطابات السياسية و الاجتماعية و الدينية التي تناولها شعراء وأدباء الثورة الجزائرية ، وكان هذا من أجل التعريف بالعطاء الأدبي وتقويم دوره في مدى التزام النقاد والمثقفين الجزائريين بالقضية الوطنية ، فشهدت الساحة الوطنية بروز تيار حزبي بارز متمثل في حركة الإصلاح وكان من ضمن هذه الحركة شعراء يعبرون عن روحها و أهدافها عن طريق إبداعاتهم الأدبية .

فكان الشعر بمثابة وسيلة من وسائل المقاومة التي تستخدمها الشعوب المستعمرة في التصدي للعدو، وفي هذه الفترة بروز صوت رائد الشعراء الجزائريين (محمد العيد آل خليفة) مدويا في ساحة أرض الجزائر، وقد شاد به رئيس جمعية العلماء المسلمين البشير الإبراهيمي لبيان شعره حيث قال عنه : " ومن يعرف محمد العيد أل خليفة و يعرف إيمانه وتقواه وتدينه وتخلقه بالفضائل الإسلامية ، يعرف أن روح الصدق المتفشية في شعره إنما هي من أثار صدق الإيمان وصحة التخلق ، ويعلم أنه من هذه الناحية بدع في الشعر ووافق شعره النهضة الجزائرية بجميع مراحلها وله في كل ناحية من نواحيها ومن كل طور من أطوارها وفي كل أثر من القصائد وتقاطيع خالدة فشعره لو جمع سجل صادق لهذه النهضة وعرض رائد لأطوارها"[1]

ولقد تناول الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة القضية الوطنية من جميع مجالاتها الاجتماعية والدينية و السياسية حيث تشكل هذه البنيات الثلاثة الوحدة الوطنية ، فدافع عنها

[1] صالح خرفي، صفحات من الجزائر،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ،الطبعة1 ،1972 ص 189

بما تحمله قريحته الشعرية في سبيل نشر الوعي والحفاظ على الثوابت والعقائد الدينية للمجتمع الجزائري الذي حاول بذلك الاستعمار الفرنسي زعزعتها وتفكيكها .

الالتزام الاجتماعي

يرى مؤرخي الخطاب الأدبي أن ميلاد الشعر الجزائري واكب ظهوره الحركة الوطنية بالرغم من محاولة الاستعمار تغريب الجزائر، وإحداث فجوة في المجتمع الجزائري وثقافته العربية الإسلامية لولا جهود المثقفين من الأدباء و السياسيين وسعيهم لتغير الأوضاع حيث تجلى ذلك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين التي عملت على إبطال الأطروحات الاستعمارية ، و يعد هذا من بين العوامل التي عملت على بلورة المطامح الشعبية في قوالب أدبية بارزة ، رغم المطاردة وفرض الإقامة الجبرية على المثقفين والأدباء .

وفي هذه الفترة ظهر الوعي الذي رافق الحياة السياسية بأعمال أدبية متنوعة حاولت طرح الكثير من القضايا الوطنية ، وتصور الواقع الاجتماعي و المظالم التي يعاني منها المجتمع الجزائري ، حيث ثار الشعراء وعملوا على شحذ قريحتهم الشعرية للبوح بمكامن صدورهم وخلجات شعورهم نحو مجتمعاتهم وأوطانهم.

وفي قصيدة ألقاها الشاعر محمد العيد آل خليفة سنة 1932 يرفض فيها أن يبقى الشعب الجزائري خاضع للاستعمار كما يطلب فيها من الشباب التخلص من الخوف و المضي قدمًا في ساحة الفداء والجهاد بكل بسالة لتحقيق مراده لأن الوطن مهدد بالزوال وأن زمان الهوان قد ولى وأن إضمار الوطنية وإظهار الولاء للمستعمر لا يجدي نفعا يقول:

" شباب الجزائر طب بالاخـــــا ء فقد جزت في رعية الأسبقيه

وطب حول موروده المستطاب كما طافت النحل الخليه

أناديك للخير خير النداء وأوصيك بالحق حق الوصيه
ذر الخوف تعرف ثنايا السلــوك فمن هاب خاب وظل الثنيه
رأيت المنايا سبيل المنى فخاطر تصب منية أو منيه
إذا زلزلت بالخطوب البلاد فلا خير في حذر أو تقيه
تولى زمان الرضا بالهوان ووافى زمان الفدى والضحيه" [1]

وفي موضع أخر يقدم الشاعر حذره للشعب ويدعوه للتفطن واليقظة وتجنب سهام الصائدين وغدرهم وينصحه بأن يتخذ من الجبال الشامخات الشاهقات حصون منيعة تستعصي على يد العدو الوصول إليهم و التضحية بالنفس في سبيل الوطن يقول:

" يا إبن الحنيفية إخلع كراك فأنوار صبحك تترى جليه
تجمع من حولك الصائدون وإنك للصائدين الرميه
فطر و ابن وكرك بين الصخور مع العصم في الشاهقات العليه
و نفسك بعها مع البائعين كرام النفوس لباري البريه
و جسمك رضه يسل كالمصب ويشتد كالصعدة السمهريه
و ذلله للروح في الصالحات فما هو للروح إلا مطيه " [2]

و بعد مدة من طويلة مليئة بالتنبؤات الثورية، اندلعت ثورة التحرير المباركة و اتخذ المجاهدون من الجبال الشامخة حصون لهم تقيهم شر بأس العدو، ومنه تدل هذه القصيدة (صرخة ثورية) على التخلص من الوعي و الرهب الذي بثه المستعمر في المجتمع الجزائري خلال فترة العشرينيات آنذاك ، فجاءت هذه الصرخة الثورية لتعلن عن قرع طبول الحرب ضد المستعمر.

[1] ديوان محمد العيد آل الخليفة ، ص380

[2] المرجع نفسه ، ص 181

و في قصيدة (من الجزائر) التي نشرت في مجلة الشهاب سنة1933 تحدث محمد العيد آل خليفة عن دور جمعية العلماء المسلمين في تعبئة الشعب للثورة وتدرجها من القول (العمل السياسي) إلى الفعل (الكفاح المسلح) ، كما أشار في ذات الموضع إلى التفرقة التي دبت في المجتمع الجزائري فأضلوا السبيل و تمكن منهم المستعمر، وفي هذا الصدد يقول:

" يا شاهدًا سمر الهدا ... ة ، بلغت في الدنيا الأمل
الصادقون هنا فثق ... والعالمون هنا فسل
والواعضون يفجرو ... ن الشهد من خلل الجمل
شرع الكلام إلى مدى ... ياقوم فالعمل العمل
الشعب من حل العرى ... خزيان مختلف العلل
صاد وليس به صدى ... ثمل وليس به ثمل
ضربت على يده القوى ... وفشت بجانبه الحيل
لبلائه ذعر الورى ... وبصبره ضرب المثل"[1]

يبين هذا المقطع من القصيدة قناعة الشاعر بالمقاومة المسلحة ، و تأتي هذه القناعة بعد تيقن بعدم جدوى النضال السياسي حينها أدرك الشعب الجزائري تنكر فرنسا المستعمرة لحقوقهم ، وإخضاعهم لسلطتها و حكمها.

ومن خلال هذه القصيدة التي بين أيدينا ، (ذكر المؤتمر) يخاطب فيها الشاعر الشعب الجزائري ويطالبه فيها أن يتسلح بالوعي ورد مظالمه وينتزع حقوقهم بقوة أن يكون واثقا من قدرته وإيمانه بالانتصار.

[1] المرجع السابق ، ص383- 384

يقول محمد العيد:

" فقم يا ابن البلاد اليوم و انهض بلا مهل فقد طال العقود
و قل يا ابن البلاد لكل لص تجلى الصبح وانتبه الرقود
فخض يا ابن الجزائر في المنايا تظللك البنود أو اللحود
و لا تيأس من الفوز المرجى فقد يخضر بعد اليبس عود"[1]

كان الخطاب الشعري لمحمد العيد آل خليفة أثر بالغ في نفس الشعب الجزائري بحيث يمكن القول أن الشاعر بشعره أخرج الشعب من الظلمات إلى النور ، فكانت نصوصه الشعرية تلقى تجاوب وتفاعل كبير لأنه كان يعبر عن أمال شعبه و آلامه ، ويصور واقع معاناته وتطلعاته ، فهو بمثابة ترجمان للأمة الجزائرية معبرا عنها بأسلوب راقي ، و ألفاظ ومعاني موحية شديدة التأثر لدى القارئ يقول:

"استوح شعرك من حنايا الأضلع و استجل في القسمات حسن المطلع
و اصغ التحية نضرة رفافة كالورد و ارفعها لهذا المجمع
قل للجزائر وهي أم مرضع مثل اللبوءة أي أم مرضع!!
أبناؤك الأشبال فيك تزاوروا و تزاءروا في الغيل منك بمسمع
تأبى الجزائر أن تعم بنفعها من ليس يسعى للأعمة الأنفع
و لكل ساع في المواطن ما سعى من خان خين ومن رعى فيها رعي
و لا ربما كان الجزاء مؤخرا أجلا فضاقت حيلة المتسرع
قلبت أنواع الجهاد فلم أجد كجهاد محتسب به متطوع"[2]

[1] المرجع السابق ، ص277– 278

[2] المرجع نفسه ، 135

" إن خير أنواع الشعر عند الشعراء هو ما جاء قوي ملتهبا مستعرا للنفوس دافعا إلى النضال ، لأن هذا الشعر يجدد الهمم و يبعث العزائم و يحرض على المكرمات".[1]

تكمن قيمة الشعر لدى الشاعر في تناوله ومعالجته للموضوعات الاجتماعية و لا سيما الموضوعات المصيرية في حياة المجتمع ، فالشاعر إنسان يعيش ضمن جماعات " فلا يصيب مما يدعوا إليه إلا ما يصيب غيره من الملايين التي يجرد أدبه وفنه لخدمتها و شرح قضاياها وأهدافها والعمل على انتشالها مما تكابد في حياتها الكادحة من متاعب وآلام."[2]

و أجمع العديد من النقاد والدارسين أن الشاعر يهتم بالجانب بالفني الجمالي للشعر كالالتفات إلى الصورة الفنية التي لا تمت بصلة إلى مشكلات مجتمعه" كوصف عاصفة هوجاء أو شلال هادر أو نهر متجمد أو زهرة ذابلة أو تصوير غريزة جامحة أو تجربة ذاتية لا علاقة لها بمصير الإنسان ، حكم عليه بالتقصير رغم ايجادته في الوصف والتصوير".[3]

ولذلك " فالشعر الذي لا يحمل في معانيه رسالة ولا يخدم هدفا اجتماعيا ، يصبح نوعا من الأصوات المجردة التي قد تكوكن جميلة وربما مفيدة في الظروف السوية المتقدمة و لكنها مهما كان جمالها غير مفيدة ولا جميلة لدى التجمعات التي تعاني من الظلم السياسي و الاجتماعي." [4]

---

[1] إبـراهيم لقـان ،ملامـح المقاومـة ضـد الاسـتعمار فـي شـعر الخليفـة"دراسـة فنيـة" رسـالة ماجسـتير، كليـة الآداب واللغـات جامعة منتوري ، قسنطينة ، ص207.206

[2] بدوى طبانة، قضايا النقد الأدبي ، ص18

[3] المرجع نفسه ، ص28

[4] جواد إسماعيل عبد الله الهيثم، الالتزام في الشعر الإسلامي الفلسطيني المعاصر، رسالة ماجستير، كلية الآداب ، جامعة الإسلامية ، غزة ، فلسطين، 2010 ـ 2011 ص210

فالشاعر هو ابن بيئته يؤثر فيها ويتأثر بها ويكون خادما للمبادئ الشاملة فيجعل من موضوع شعره خدمة للشعب ، وهكذا يتضح أن الشاعر الملتزم بالدفاع عن قضايا مجتمعه يسعى إلى تغيير الواقع.

و يرى محمد مصايف أنه:" من المستحسن إبراز القيم الإيجابية للإنسان الجزائري سواء تلك المعلقة بالبطولة الحربية أيام الثورة التحريرية ، أو تلك الخاصة بالقيم الأخلاقية التي تجعل الفرد يتمرد دائما ضد الظلم والجور والفقر ، ويعمل على تحقيق قيم العدالة والحرية والأخوة إن التركيز على القيم الإيجابية عند الإنسان "البطولة المثالية أيام الثورة الفلاح المتمرد كرامة المرأة الشوق إلى الحرية و العدالة ، مقاومة الظلم و الفقر و الجهل." [1]

ومنه يمكن القول أن الشاعر محمد العيد آل خليفة التزم بقضية الشعب الجزائري حيث جعل من خطاباته الشعرية وسيلة لتحرير الجزائر من الاستعمار لما لها من دور في بلورة الوعي الثوري و شحذ العزائم.

وكان له موقف بارز من الاستعمار ومن الثورة والتي تحدث عنها ودعا إليها قبل اندلاعها حيث تنبأ بإشراق فجر الثورة من الأوراس فيبعث تنبئه شعرا للشعب الجزائري في قصيدة رعد البشائر يقول:

" **بباتنة رعد البشائر لعلعا فأطرب (أوراسًا) بها (والشلعلعا)**" [2]

حيث في هذه القصيدة يقدم الشاعر مفهوم الإنسان الحر ، وهو الذي يخوض الوغى في كتيبته ليحرر البلاد ويلقى الشهادة وهو ما يحتاج إليه الشعب الجزائري في هذه الفترة يقول:

---

[1] محمد ساري ، النقد الأدبي ومناهجه وتطبيقاته عند محمد مصايف، رسالة ماجستير معهد اللغة والأدب العربي جامعة الجزائر ، الجزائر1992ـ1993 ص115.116

[2] ديوان محمد العيد آل الخليفة ، ص 171

"وما الحر إلا من تيمم معهدا ليقتبس العلم الصحيح فينفعا
وإلا من اعلولى عن النفس همة وأعرض عن أغراضها وتورعا
وإلا من اختاض الوغى في كتيبة ليفتح مصرا أو يلاقي مصرعا
فيا أيها الشعب الذليل أما ترى لجارك هما للسيادة مولعا"[1]

وفي موضع آخر دعا محمد العيد آل خليفة أبناء شعبه إلى الجهاد لتحرير بلاده من العدو ، الذي عاش فيها فسادا ، فكان مولد قصيدته (في يوم باتنة) ، العظيم مناسبة للافتتاح مدرسة باتنة العربية الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين وكتنبؤ باندلاع الثورة من جبال الأوراس (باتنة) حيث يقول:

"حثثنا نحو باتنة المطايا وجئناها نزف لها التحايا
أليست أخت (أوراس)المعلى وجارة (توقر) الخصب الحنايا
لقد أصغى إليك الدهر أذنا ليروي ما تسجل من قضايا
فسجلها له آثار صدق مخلدة بأيديك السخايا
ولا تسجيل للآثار إلا ببذل المال أو بذل الضحايا
ولا أشهى لأحرار المبادي من التحرير للنسم السبايا
بلادي لا تركت إلى بغاة تشينك بالفساد ولا بغايا
أغذي للمعالي السير وامضي و لا تهني بجهدك أن تعايا
فنحن يداك في كسب المعالي و نحن فداك من كل البلايا"[2]

و بعد ذيوع لسان الشاعر محمد العيد آل خليفة في الساحة الأدبية الجزائرية و مدى مساهمته في نشر الوعي التحرري من خلال قصائده لدى المجتمع الجزائري آنذاك

[1] المرجع السابق ، ص 173

[2] المرجع نفسه ، ص 199 ،201

فطالته يد المستعمر ولم يسلم من ظلمه ، حينذاك تعرض إلى رقابة صارمة تطلب منه مغادرة بيته فعاش معزولا محروما من حريته .

ومن خلال هذا يمكن أن نستشف الظروف التي كان يعيشها من خلال قصيدته (أبا المنقوش) التي ألقاها سنة 1959 يناجي فيها جبل أبي المنقوش الذي يقع على جانب بسكرة ، وفي وصفه له كأنه يحرسها ويدافع عليها من بطش الاستعمار حيث يقول:

" أبا المنقوش هل تدري بحالي فأنت اليوم جاري في الجبال
ببسكرة النخيل حططت رحلي وأنت بأرضها حامي الرحال
رأيتك مشرفا أبدا عليها كإشراف الولي على العيال
رماني حول سفحك موج دهري أسيرا بعد أحداث طوال
فعشت به كيونس في السقام لدى قومي ولكن في انعزال" [1]

وبــالرغم مــن الوحــدة التــي يعانيهــا الشــاعر والغربــة المفروضــة عليــه فــي موطنــه بيد أن هذا الاستغراب لم يتحرر من التطلع والتساؤل المستمر و الدائب ، عن مصير الثورة والشعب الصبور و المثابر و المتفاني في الجهاد و الكفاح في سبيل تحقيق النصر يقول:

" أبا المنقوش خبرني فإني أحب شفاه مثلك بالسؤال
ففي منقوش صخرك رائعات من الأسرار والحكم الغوالي
وألغاز على الأجيال تملى يفوز بحلها واعي الخيال
متى يأتي بربك نصر شعب يقاسي كل ألوان النكال
مضت حجج له خمس شداد وموطنه بنار الحرب صالي" [2]

[1] ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 388

[2] المرجع نفسه ، ص 389.388

ولكن في نهاية المطاف تتحول الحيرة والتساؤل في آخر القصيدة إلى ، تفاؤل الشاعر بميلاد النصر بعد مخاض عسير يقول:

" ترقب خير مولود جديد بمولده تمخضت الليالي
فإن الثورة اكتشفت مداها ولاح لها التحرر كالهلال
وما في الجو من غيم كثيف وإن طال المدى فإلى زوال
وقل لابن الجزائر كن صمودا فنصر الله للبؤساء تالي
تحدى الأقوياء بكل صبر ووال الاحتجاج ولا تبالي
وإن لم ينتصر لك أي مولى أتاك النصر من مولى الموالي" [1]

وفي قصيدة أخرى ألقاها محمد العيد آل خليفة أثناء الثورة وهو في الإقامة الجبرية حيث أطل عليه طائرة (أبو البشير) فكان بينهما ما كان بين (أبي فراس الحمداني) و(الحمامة) وبين سيدنا (سليمان و الهدهد) حيث بدت هذه المناجاة يأس الشاعر وبشرت بنفس قريب يقول:

"جزمت بقرب إطلاق الأسير غداة سمعت صوت (أبي بشير)
فقمت مرحبا بنزيل يمن عليا بكل بإكرام جدير
وجئت أبثه نجواي سرا ومن للحر بالصوت الجهير
أناجيه بأمالي وحالي وأستفتيه عن شعبي الكسير
كما ناجا الأمير أبو فراس حمامته بشعر مستثير
فقلت أبا بشير أنت ضيف قراك الشعر لا حب الشعير
رأيتك فابتهجت فكن سميرا لمشتاق إلى سمر السمير
وواع ما تقول ورب مصغ لصوتك ما وعى غير الصفير
أراك أبا بشير ضيف خير وطائرة رحمة للمستخير

[1] ديوان محمد العيد آل خليفة ، ص 389

و كل سفارة لك فهيي بشرى فأهلا بالسفارة والسفير
أرح قلبي برقزقة الأماني ومتعني بمنظرك النظير
و انبئني عن الأمل المرجى وحدثني عن الحدث الخطير
فقال: لقد أتيتك من بعيد فأصغ إلي وأرو عن الخبير
كما أصغى (سليمان) قديما إلى أنباء هدهده الصغير
سيحمد شعبك العقبى قريبا ويحرز نصره بيدي القدير"[1]

ومن خلال القصيدة نلاحظ رؤية شعرية إيمانية ، نابغة من شعر مؤمن بالنصر و هذه الرؤية توضح تباشير الاستقلال تلوح في الأفق القريب ، أو تبدد ظلام الاستعمار عن سماء الجزائر.

ومن خلال ما سبق ذكره نرى أن شعر محمد العيد آل خليفة انطلق من عمق المجتمع الجزائري مقاوما ثائرا من أجل تحطيم قيود المستعمر فبث في شعبه الروح الوطنية فثار مقتلعا جذور الظلم، ومحاربة الأفكار الغربية الاستعمارية التي سعت بما أوتيت بقوة للقضاء على القومية الوطنية الجزائرية ، وتدنيس القيم الإسلامية ، كما عمل على نشر الوعي الثقافي مخلصا المجتمع الجزائري من هذه البراثن.

وكان لشعر محمد العيد آل خليفة صدى لهذه الرؤية الشعرية ، التي ترجمت من خلالها الخلجات الشعورية التي تختلج في شعور الشعب.

ونحن بقراءتنا لهذا الخطاب الشعري نلتمس إخلاص الشاعر ، وبروز أصالته العربية الإسلامية ، لأنه يعد نفسه كفرد من المجتمع الجزائري يعيش ما يعيشونه من صراع ضد الاستعمار الغاصب.

[1] المرجع السابق ، ص386.385

و هكذا كان للخطاب الأدبي الجزائري دورا هاما في نقل قضايا المجتمع الجزائري وإن كانت قد خفت في مرحلة بسبب الاضطهاد وفرض الإقامة الجبرية والعزل التي كان يتعرض له الأدباء الجزائريين في فترة الاستعمار إلا أن محمد العيد آل خليفة لم تخفت كلمته وصخر شعره لقضايا وطنه ومجتمعه وقد شحن خطابه الثوري الذي كان بمثابة المدد المعنوي في محاربة الاستعمار .

و أما الشاعر الفذ هو " الذي يكون صورة صادقة لنفسه وعصره ، ولا ينقاد إلا لصوت ضــميره ، هــو الــذي يتحمــل دور الريــادة فــي الحيــاة والمجتمــع فــي المجــال السياســي و الـديني و الاجتمـاعي ، وعليـه أن يقـاوم الاسـتبداد بلسـان حـاد لا يـرده عـن ذالـك اضـطهاده أو قــوة أو جبــروت ، فــإن الشــعر الــذي لا يحــرك همــة الشــعب ليتطلــع إلــى الاســتقلال و الحريـة و لا يـذكر بواجبـه المقـدس ووطنـه المفـدى خيانـة كبـرى وخنجـر مسـمم فـي قلـب المجتمع "[1]

و منه يمكننا القول " إن خير أنواع الشعر عند الشعراء هو ما جاء قويا ملتهبا مستعرا للنفوس دافعا للنضال لأن هذا الشعر يجدد الهمم ، ويبعث العزائم وحرض على المكرمات "[2]

الالتزام السياسي

شـهد الخطـاب الأدبـي الجزائـري فـي فتـرة الاسـتعمار مجموعـة مـن الأشـعار السياسـية التـي قيلـت علـى لسـان مجموعـة مـن الشـعراء والأدبـاء ، فكـان لظهـور حركـة العلمـاء المسـلمين الجزائـــريين فـــي الســـاحة السياســـية دورا بـــارزا فـــي الإصـــلاح السياســـي و الاجتمـاعي فعملـت علـى نشـر مجموعـة مـن الأعمـال الأدبيـة لكتابهـا وشـعرائها ذوي الطمـوح

[1] إبراهيم لقان ، ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر الخليفة ، ص118

[2] المرجع نفسه ، ص119.118

الإصــلاحي فــي جرائــدها ومجلاتهــا ، كجريــدة البصــائر و مجلــة الشــهاب ، و مــن هــؤلاء محمد العيد آل خليفة

كانت بداية نشاط محمد العيد آل خليفة النشاط السياسي في سن مبكرة ، فكانت أولى أعماله وإنجازاته الفكرية بنشر مقال في جريدة (الأقدام للأمير خالد) كما عمل على تكريس خطابه السياسي لخدمة المبادئ الثورية والقيم الإسلامية ، و يتجلى ذالك من خلال دعوته للوحدة الوطنية بين الأحزاب السياسية ، حيث يقول في قصيدة نشرها في جريدة البصائر سنة 1947 م :

"هذه الأرض سوف تنبت عزا إن تصافت في ظلها الأحزاب
كلنا إخوة في الدين والجنـــ س ، عليها وكلنا أحبــاب
نبتغي العيش في الجزائر حرا مطلقــا لا يحفه إرهاب" [1]

وفي سنة 1950 نشر محمد العيد آل الخليفة في جريدة المنار قصيدة سياسية يقول فيها:

"يا قوم هبوا لاغتنام حياتكم فالعمر ساعات مر عجالا
الأسر طال بكم فطال عناؤكم فكوا القيود وحطموا الأغلالا
والشعب ضج من المظالم فانشدوا حرية تحميه و استقلالا
لا أمن إلا في ظلال مرفرف حر لنا عال ينير هــلالا
من فوق جند بالعتيد من القوى يلقى العدو و يصمد استبسالا
وإذ أراد الشعب نال مراده ولو أنه كالنجمة عز منــالا" [2]

[1] ديوان محمد العيد آل خليفة ، 237

[2] المرجع نفسه ، ص 307

في هذه الأبيات يدعوا الشاعر محمد العيد آل خليفة ، الأحزاب السياسية إلى التكاثف وجمع الشمل بعد الشتات و اغتنام العمر وكسر القيود على الشعب الجزائري و الثورة على الاستعمار لتحقيق الحرية، لأن لا أمن له إلا في ظل وطن مستقل له علم يرفرف عال في سمائه ، و إن الشعب إن أراد مراده فإنه بالعزم والإرادة يحقق منالـه.

وبعد الانتكاسة التي عاشتها الحركة الوطنية ، دعت جمعية العلماء المسلمين إلى عقد مؤتمر بمشاركة جميع التنظيمات والأحزاب السياسية وجمعيات المجتمع المدني أجمع المؤتمر باتفاق مجموعة من المثقفين السياسيين لتشكيل وفد سياسي ممثلا في الحزب اليساري الذي يمثل البرلمان الجزائري في فرنسا إلا التوجه لباريس لتحقيق جملة من المطالب الدينية والسياسية و الاقتصادية والثقافية للشعب الجزائري.

و بمناسبة انعقاد المؤتمر الإسلامي ، أنشد محمد العيد آل خليفة قصيدة يخاطب فيها الوفد السياسي والمطالبة بكل حزم حقوق الشعب الجزائري يقول فيها :

"صادف رضى وألقي رفدا ... يا وفد بوركت وفـــدا
وأم باريس ركبـا ... باليمن تحدوا وتــحدى
باسمي الجزائري فاسأل ... باريس لا تخش ردا
إن الجـزائر ترجـــو ... باريس أن لا تصــدا
خاب الذين أقامـــوا ... بين البلادين ســـدا
غدا بباريس تلـــقى ... عطفا وتكسب حمــدا
غدا ستســمع فيـــها ... صوت العدالة يصـدى
فاكشف لها السر و اصدع ... بالحق لا تأل جــهدا
وابسط مطالب شعـــب ... نادى بها و استــعدا

يا وفد أمرك جـــــــد فاصرف له العزم جدا" [1]

وفـي ذات الموضـع ألقـى محمـد العيـد آل خليفـة قصـيدة أخـرى فـي الـذكرى الأولـى للمؤتمر الإسلامي التي أقيمت في شهر أغسطس سنة1937 م يقول فيها :

"أقيمي لا تفارقك السعود سلام الله أيتها الوفود
شهدت اليوم مؤتمرا عظيما أغر لمثله يجب الشهود
به تبنى الجزائر من جديد وتستحيا المآثر والجدود
ونبعث صوتنا الشعبي حرا يدوي مثلما دوت رعود
ونقتحم السدود إلى حقوق حرمناها وإن عالت السدود
بلغنا رشدنا يا كون فاشهد و أدركنا فأذعن يا وجود
متى توفى الوعود فقد مللنا تساؤلنا، متى توفى الوعود؟
أعد لنا بوادي (السين) ورد مصفى لو يتاح لنا الورود
أنظمأ للعــدالة يا فرنســا و عندك ماؤها العذب البرود؟
أصابتنا الجوائح والرزايا و أعوزت المرافق و الرفود
حنت أعناقنا الأغلال ظلما و حزت في سواعدنا القيود
أعلنا المظالم و الشكــايا فأخفتها الدسائس والكيود" [2]

يعبـر الشـاعر مـن خـلال هـذه القصـيدة عـن الـوعي السياسـي ، و مـدى حـرص الشـعب الجزائـري علـى حقوقـه وكرامتـه المنهوبـة، وهـذا مـا نلاحظـه مـن خـلال العبـارات و الألفـاظ التي تضمنتها القصيدة مثل: نقتحم السدود إلى الحقوق ، و إن علت السدود بلغنا رشدنا.

[1] المرجع السابق، ص 273

[2] المرجع نفسه ، ص 276 . 277

ويقول أيضا :

"يا وفد سائل فرنسا عن مطالبنا إلى متى هي تحت البحث و النظر
يا وفدا حذر فرنسا عن مماطلة كدنا نميل بها لليأس والضجر"[1]

ويقول أيضا:

"يا وفد ذكــر فرنســـــا عهدا تقادم عهـــــــدا
قل مسنا الضر قبـــــلا و خاننـا الصـــبر بعـــدا
متـــى تفيـــن بـــــوعد يـــا أعـذب النـــاس وعـدا؟
لا بـــد أن تمنحيـــــنا مـــا لا نرى منه بـــــــدا
فكـــم وســـعناك بـــرا وسعته اليـــوم جحـــدا
و كـــم بخلـت فقلنـــــا لعلهـــا سوف تنـــدى
و كـــم ظلمت فقلنـــــا لعل للظلـــم حـــــــدا
الحــرب تشهـــــد أنا كنـــا بجنبك أســـــــدا"[2]

و يبدو هنا الشاعر قد وصل إلى مرحلة اليأس من هذه الوعود ، و تبلغ قمة الحسرة و التشاؤم عند الشاعر و عند الشعب عند دعوته للوفد السياسي المنبثق عن المؤتمر الإسلامي ممنيا النفس و ظنا منه أن فرنسا سوف تحقق مطالبه وفي هذا يقول :

"ما للحقوق إلينا غير واصلة وقد سمعنا بها من منذ أزمـــان؟
هل عاقها البحر عنا فهي عاجزة عن قطع ما فيه من لج وشطـــان؟
أم راقها البحر حسنا فهي سابحة تلهوا بما فيه من در ومرجـــان؟
أم الحقت ببنات البحر فاحتجبت عن كل قاص من الرائين أو داني؟"[3]

[1] المرجع السابق ، ص 291
[2] المرجع نفسه ، ص 273 .274
[3] المرجع نفسه، ص 287

في صفحات يسجلها التاريخ من الناحية الأدبية ، أنه لا يوجد حادثة تأثر بها الأدباء الجزائريين مثل حادثة 8ماي 1945 ، وقد تأثر بها محمد العيد آل خليفة حيث كان تأثره كبيرا تركت في نفسه جراح لا تندمل وذكرى لا تنسى معبرا عن هذا الشعور في قصيدة (لا أنسى) يقول:

"وأرقب ممن أحدثوه ضماده وهم في جماح لم يميلوا لإسلاس
تمر الليالي وهو يدمي فلم نجد له مرهما منهم سوى العنف والباس
إذ ما رجونا برأه ثر دافقا بأحداث سوء وقعها مؤلم قاســـي
فظائع (ماي) كذبت كل مزعم لهم ورمت ما روجوه بإفـــلاس
ديار من السكان تخلى نكاية و عسفا وأحياء تساق لأرماس
سئمنا من الشكوى إلى غير راحم وغير محق لا يدين بقســـطاس
وقفت أجيل الطرف في الأرض باحثا و أضرب أخماسي الجميع بأسداسي
يا أيها الشعب المروع لا تضق بدنياك ذرعا وأطرح خلق الياس
وقل للذي أذاك لا وصل بيننا وموعدنا العقبى فما أنا بالناسي"[1]

يصف الشاعر وصف المأساة ويصور لنا جرائم الاستعمار التي كذبت إدعاءاته ووعوده حيث استشهد العشرات وأخليت الديار من ساكنيها وسيقوا إلى السجون والمحتشدات.

ومن خلاله هذه الحادثة تبين للشعب الجزائري وللشاعر أن وعود فرنسا أو الاستعمار مجرد أكاذيب ، لا تعدو أن تكون سرابا خادعا وعلى الشعب أن يتهيأ للكفاح والعمل المسلح الذي هو السبيل الوحيد.

[1] المرجع السابق ، ص 296 .297

وفي الأخير وجه الشاعر خطابه للشعب المروع بهذه الأحداث الأليمة ناصحا له بتجنب اليأس وقطع صلته وعلاقته بالمستعمر ، ويعد محمد العيد المستعمر بالأخذ بالثأر لضحايا مجازر 08 ماي 1945 يقول:

"لم ننس (مايو) لا و لا مأساته حتى جبهنا الغاصب المتجبرا
لما ازدرى بحقوقنا متصلبا في كبره قلنا له (أطرق كرى)
و تحولت لغة التخاطب بينا لغة بها جو السلاح تعكرا"[1]

ومن خلال هذه الأبيات أن موقف الشاعر اتسم بالجرأة والقوة و العنف الثوري و الوضوح في الرأي السياسي للوطنية في الشعر، فهو يربطه في خطابه الشعري بين الدعوة في تحطيم القيود الاستعمارية وبين الدعوة إلى الحرية ، فهو يربطه في خطابه الشعري بين الدعوة في تحطيم القيود الاستعمارية وبين الدعوة إلى الحرية .

ومنه يمكننا القول أن محمد العيد أول من صرح بالاستقلال و الحرية ، و هي تباشير تلوح في الأفق يدنو الشعب الجزائري من تحقيقيها ، و يبدوا أن الأبعاد السياسية مهمة لآراء الشاعر من ربطه بين الظلم المتزايد وبيت وجود الاستعمار مما يجعل القضاء عليه ضرورة حتمية لابد منها.

ومن الخطابات الشعرية السياسية التي تضمن ديوان محمد العيد آل خليفة موضوع الوحدة الوطنية أو القومية ، والوحدة العربية بمعنى وحدة الجزائر مع البلدان المغاربية و العربية الإسلامية ، وإذ ما تحدثنا عن الوحدة الوطنية فإننا نختص بالذكر الوحدة الشعبية الجزائرية التي لا طالما سعى الاستعمار إلى تشتيتها وتفريقها لفصل الشرق عن الغرب و الشمال عن الجنوب، و على هذا النحو عمل المثقفون السياسيون على تعبئة الشعب فكريا

[1] المرجع السابق ، ص 404

وفـــي شـــتى المجـــالات السياســـية والثقافيـــة والدينيـــة ، وعلـــى إثـــر هـــذا يـــرى أبـو القاسـم سـعد الله : " إن روح التماسـك بـين أفـراد الشـعب هامـدة لـم توقظهـا إلا الصـدمات العنيفـة التـي مـرت بهـا الجزائـر كالاسـتعمار والحـربين العـالميتين و المؤتمر الإسـلامي و مأسـاة 08مـاي... ولقد حـاول القـادة السياسـيون منـذ مطلـع هـذا القـرن أن يبـرزوا هـذه الـروح ويقودوهـا و أن يربطوا أفراد الشعب نفسا و اجتماعيا... ونجحوا إلى حد بعيد في تجميع هذا الشعور."[1]

وقد أشاد"محمد العيد" بهذه النخبة والوحدة الوطنية قائلا:

" وهبتك روحي يا جزائر فأمري كما شئت إني خاضع لك خادم
حماك ربيع لي وإن كان جاحما علي وهل يصلي خليلك جاحم؟
وقرباك هم قرباي لست مباليا أعاريب هم في جنسهم أم أعاجم؟
فخذ من دمي يا ابن الجزائر إنني أخ لك في كل الحظوظ مقاسم"[2]

ومن خطاباته الشعرية الوحدة الوطنية، ما قيل في قصيدة (رعد البشائر) التي عبر فيها عن لحمة الشعب الجزائري بكل أطيافه في تصديهم للعدو وقال:

"و ما نحن إلا أمة ذات نسب سماوية الأسباب لن تتقطعا
و ذرية للأطلس الفخم لو به تصدت لنا ذرية ما تصدعا
و إذ ما دعا (توقر) ابن أجابه (بجرجرة) ابن ليس يخذل من دعا"[3]

[1] هيبة مسعي ، التجربة النقدية لأبي قاسم سعد الله من خلال كتابه (محمد العيد آل خليفة) دراسة ونقد ، رسالة ماستر كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي ، أم البواقي ،2015.2014، ص50

[2] ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 131

[3] المرجع نفسه ، ص 174

ولم يقتصر على محمد العيد في التعبير عن شعوره في الوحدة الوطنية الجزائرية والدفاع عنها، بل راح يشارك الأقطار العربية في مآسيها والدفاع عن قضاياها وخاصة بلدان المغرب العربي التي احتلت من طرف الاستعمار الأجنبي.

ويؤكد محمد العيد عن قضايا هذه الدول تمثل وحدة العروبة والقومية فهي تتشارك في الثقافة الاجتماعية والإسلامية وتقرير المصير أي الاستقلال، يقول:

" فالمغرب العربي أصبح كاسمه للعالم العربي خير مظاهر
و العالم العربي أمسى وحدة قومية في عنصر متظافر"[1]

ويتضح شعور وحدة العروبة لدى الشاعر من خلال قصيدته التي ألقاها سنة 1952 معبرًا فيها عن إعلان مصر الثورة ضد الاحتلال الإنجليزي، وعن مشاركة الجزائر لشقيقتها مصر آلامها ومشاعرها يقول:

"أغار على الكناية شر عاد فقل:يا مصر حي على الجهاد
أعدي كل بأسك واستعدي لرد الزاحفين بلا أتـئـاد
هتافات الشمال إليك تعلو صدى وعهوده لك كالعهاد
خذي الأهبات للغمرات وامضي فنصرك قائد والله هادي "[2]

ويقول أيضا في استقلال ليبيا:

"اليوم أمة ليبيا قد حطمت ما أحكم الطليان من أغلال
شملت أقاليم البلاد بوحدة ليبية كالعقد النظم لآلي

[1] المرجع السابق، ص 204

[2] المرجع نفسه، ص 311 . 313

يا ليبيا تيهي بتاجك رفعة و تمايلي بلوائك المختال
وبعرشك إصطحبي العروش مدلة و بقيلك إفتخري على الأقيال
لا زلت ظافرة بحقك حرة تتقدمين بصالح الأعمال
محكومة بالحق حاكمة به و مآل أهل الحق خير مآل" [1]

يتجـاوب محمـد العيـد مـع الأحـداث السياسـية فـي أقطـار المغـرب العربـي و الشـرقي و هذه إحدى قصائده التي ألقاها بمناسبة استقلال السودان الشقيق.

"ما أسعد السودان باستقلاله فاليوم يرفع رأسه السودان
اليوم يعقد تاجه من أنجم أرضية تسمو بها التيجان
لما رماها (الأنكليز) بكيده طافت عليه كأنها طوفان
و تمخض السودان عن عهد نما فيها الحجى وتدفق العرفان
و حضارة في قلب (إفريقية) دهشت لها (لندن) البيضان
ما أمة السودان إلا أمة عربية وكتابها القرآن"[2]

يتناول محمد العيد قضايا التحرر في إفريقيا و شارك في التعبير عن العديد من القضايا الإنسانية من خلال قصيدته (يا شرق) حيث يعبر فيها عن مدى تأثره بسقوط إثيوبيا في يد المحتل الإيطالي يقول:

"(إديس بابا) اليوم ديست فلا أوراقها تندى ولا الأغصن
نوح طير الروض من حولها وصوح الزمبق والسوسن
صال عليها جيش (روما) فهل صاوله الأحباش أم أذعنوا"[3]

[1] المرجع السابق ، ص 317.316.315
[2] المرجع نفسه ، ص 321 ، 322
[3] المرجع نفسه، ص 270

كما حذر بلدان المشرق العربي من الثقة بدول الغرب ، فإن من خلف توادهم والتحبب سوى طمعهم وجشعهم في نهب خيرات الوطن و احتلاله ، يقول:

" يا شرق خذ حذرك من جيرة هاموا بحب الجور مذ هيمنوا
يؤمن في الجيرة وحش الفلا يا شرق والغربي لا يؤمن
يبدي لك الغرب رؤى حلوة و تحتها يبطن ما يبطن
أما ترى الأحباش لم يحمهم حام سوى ما يدهن المدهن
دخائل الأقوام مدخولة فلا يغرنك ما أعلنوا
(إيثيوبيا) اليوم مثاباتها تخزى وذكرى ملكها تخزن"[1]

إن أكثر حدث تأثر به الشعراء في السبعينيات القرن العشرون هو نكسة حزيران أو ما يسمى حرب أكتوبر سنة1973 ، فقد شهد هذا الحدث خسارة العرب حربهم ضد إسرائيل و احتلال هذا الأخير لفلسطين يعبر "محمد العيد" عن هذه المأساة يقول:

"يا قسمة القدس أنت ضيزى لم يعدل القاسمون فيك
مضوا على الحيف لم يبالوا بما جرى من دم سفيك
القدس للعرب من زمان لن يقبلوا فيه من شريك"[2]

ويقول أيضا:

" فلسطين العزيزة لا تراعي فعين الله راصدة تراعي
بليت بهم صهاينة جياعا فسحقا للصهاينة الجياع
ستكشف عنهم الهيجاء سترا وترميهم بكل فتى شجاع

[1] المرجع السابق ، ص 271

[2] المرجع نفسه ، ص 286

وكيف يصادف العبري نجحا وما أخلاقه غير الخداع
قد اشتهرى اليهود بكل قطر بأن طباعهم شر الطباع
قد إغتر اليهود بما أصابوا بأرض القدس من بعض القلاع
متى كان اليهود جند حرب وكفؤا للأعارب في الصراع"[1]

يؤكد محمد العيد اهتمام الجزائر بالقضايا الثورية والسياسية للأمة العربية و الانتماء لوحدة العروبة ، و الانتماء الذي يربط العلاقات القومية في أرجاء المعمورة يقول:

"و لنا أمة العروبة أم ذات العطف على الجزائر حاني
(وحدة المغرب)استعدت ظهورا و استعزت بوحدة العربان
فتحت ليبيا لنا يديها و على الأوسط انحنى المغربان
وإلينا (الحجاز) و(اليمن) أنحا زا و جاد (الكويت) بالرنان
نحن في (مصر) و(العراق)هوى الشع ب وفي (سوريا) وفي (لبنان)
(وبشرق الأردن) حزنا وفي (ما لي) على رفعة وفي (السوادان)
إن (إفريقيا) لنا اليوم أوفت بالذي أوثقت من الإيمان
وشعوبا من (آسيا) وشعوبا من (أوروبا) لنا من الأعوان"[2]

يرى الشاعر رمن خلال هذا المقطع الشعري " أن العرب كلهم إخوة ومن أسرة واحدة التي كرمت أرومتها و أن العروبة هي أمهم الكبرى التي لا يوجد نظيرها في الأمهات

[1] المرجع السابق ، ص 303
[2] المرجع نفسه ، ص 246

و يجب أن يبقى الشعب العربي في ظل العروبة ودّه ويجب أن يتعهد عليه كل من أفراد الشعب و يحافظ عليه محافظة تامة. "[1]

يقول:

"ما نحن إلا إخوة من أسرة كرمت أرومتها وطاب المحتد
الملة السمحاء آصرة لنا فوق الأواصر والعروبة مولد
هيهات تقدر أن تفرقنا يد و الله يجعل شملنا ومحمد
إن العروبة أمنا الكبرى التي في الأمهات نظيرها لها لا يوجد"[2]

تعددت الأفكار والرؤى السياسية التي تضمنها الخطاب الشعري لمحمد العيد آل خليفة حيث نجد أن الشاعر" يتحدث عن العروبة والوحدة القومية في شعره، ويدافع عن الفكر القومي ويـدعوا العـرب والجزائـريين للإتحـاد... كمـا نـرى أن الشـاعر ينـدد بأفعـال الاسـتعمار و ظلمهم و احتلالهم وفسادهم و أفعالهم السيئة."[3]

وكـل هـذه الأفكـار تبـين مـدى التـزام الشـاعر بـالتعبير عـن القضـايا السياسـية فـي الجزائـر وسائر الأمة العربية.

الالتزام الديني

سـعى الاسـتعمار منـذ وطئتـه أرض الجزائـر إلـى طمـس الهويـة الجزائريـة و فرنسـة المـدارس الجزائريـة ومنـع تـدريس اللغـة العربيـة كمـا علـى إحكـام المـدارس القرآنيـة و دور العبادة و أدى ذلك إلى تفشي الجهل والخرافات في وسط المجتمع الجزائري .

[1] علي عدالتي نسب، الفكرة السياسية في شعر محمد العيد آل خليفة ، ص128

[2] ديوان محمد العيد آل خليفة ، ص 210

[3] المرجع السابق ، ص 136

و على إثر هذا فما كان على الأدباء والمثقفين إلى الدعوة بتأسيس حركة الإصلاح التي تتمثل في جمعية العلماء المسلمين ، التي كانت تهدف إلى إنماء الوعي الشعبي عن طريق الدين و المبادئ الخلقية ، ولقد سبقنا بالإشارة إلى أن الخطاب الشعري الجزائري كان ينتسب إلى الحركة الإصلاحية ، فكان لازما على شعراء الحركة الإصلاحية توضيح " أغراض هذه الحركة ويصوغها في أثواب دينية تستميل الشعب وتبعث فيه الحماسة و اليقظة."[1]

اتخذ شعراء جمعية العلماء المسلمين الصحف كوسيلة إعلامية في اتصالهم بالشعب التي تم إنشائها من طرف الجمعية ، كمثل الإقدام و المنتقد و الشهاب ، كما كان للمدارس التعليمية دورًا هامًا في نقل خطاباتهم الشعرية إلى الشعب ذلك أن معظم شعراء هذه الفترة كانوا معلمين و في اتصال مباشر مع طلبتهم ، وكثيرا ما نظم هؤلاء الشعراء قصائد خاصة لهذا الغرض ، و يعد محمد العيد أبرز الشعراء الذين تناولوا الإصلاح في أغراضهم الشعرية .

أنبرى محمد العيد للدفاع عن الإسلام ودعا الشعب للعض عليهم بالتواجد و يتبين ذالك في قصيدة (صدى الصحراء) يقول:

"أفيقوا فهذا الدين بين ربوعكم تنازله الأحداث شر نزال
تحاول نكباء الضلالة نسفه و ترميه أشلاء الردى بنبال
فقوموا مقامات الدفاع حياله ليأمن هذا الدين كل ضلال"[2]

كمـا تنـاول محمـد العيـد فـي شـعره الـديني العديـد مـن قضـايا الـدين والتـاريخ الإسـلامي و أعلامـه و شخصـياته كمـا نجـد فـي شـعره التمجيـد للشـهداء ، و ذلـك فـي أكثـر مـن قصـيدة في ديوانه الشعري يقول في إحدى قصائده:

[1] أبو قاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري ،دار الرأي للكتاب ، الجزائر، ط5 ،2007، ص36

[2] ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 19

"رحم الله معشر الشهداء و جزاهم عنا كريم الجزاء
وسقى بالنعيم منهم ترابا مستطابا معطرا الأرجاء
هذه في الثرى قبور حوتهم أم قصورا تسمو على الجوزاء؟
لا تخل معشرًا قضوا في سبيل اللـ ـه، موتى بل هم من الأحياء
إنهم عند ربهم حول رزق منه في نعمة وفي سراء
هكذا أخبر الإله فصدق نبأ الله أصدق الأنبياء" [1]

كما أشاد بالعلماء في قصيدة "تحية العلماء" نظرا لما قدموهم من وعظ و إرشادات للأمة العربية الإسلامية:

"طلعتم علينا كالكواكب في الدجى و سرتم إلينا كالسحائب في الجذب
جحاجحة عرب القرائح و اللغى فأهلا وسهلا بالجحاجحة العرب
بسطنا لكم منا قلوبًا حفية فدوسوا عليها لا تدوسوا على الترب
قمنا و للآذان منا إصاخة إليكم فهاتوا من حديثكم العذب
و أفضوا إلينا يا ذوي اللب بالذي يتم فيه التوفيق بين ذوي اللب" [2]

ويضيف قائلا:

"أعيدوا على الإسلام هدي محمد بما كان يمليه على الآل والصحب
وسيروا على نهج التفاهم و الرضى وتحت هدى التوفيق جنبا إلى جنب
وحي على نشر العلوم فإنها حصون لحفظ الشرق من خطر الغرب
توخوا بها البحث اليسير وأخلصوا مدراكها للناس من البحث الصعب
وخوضوا بها بحر الحياة تكن لكم سفينة أمن فيه مأمونة الثقب
حنانيكم بثوا التواصي بينكم كما يتواصى الجيش في موطن الحرب" [3]

---

[1] المرجع السابق، ص 397

[2] المرجع نفسه ، ص 226

[3] المرجع نفسه ، ص 227.226

و ردَّ محمـد العيـد آل خليفـة علـى أعـداء الـدين فـي الوقـت الـذي كـان فيـه الفرنسـيين يظهــرون حقــدا كبيــرا علــى الــدين الإســلامي والمســلمين فقــد قــال الفرنســي لافيجري: "علينـا أن نحـرر هذا الشـعب و نخلصـه مـن قرآنـه ... ثـم أضـاف عـن الجزائـريين : فـإن واجـب فرنسـا تعلـيمهم الإنجيـل أو طـردهم إلـى أقاصـي الصـحراء بعيـدين عـن العـالم المتحضر"[1]

وفي(جريدة الدبيش) القسنطينية ، نشر المعمر(أشيل) مقالات تبرز عدوانيته وكراهيته للإسلام و المسلمين، كما طعن في القرآن مستهزئا بآياته وقد رد عليه محمد العيد آل خليفة في قصيدته بعنوان(هذايان أشيل) يقول:

"هيهات لا يعتري القرآن تبديل وإن تبدل التوراة و انجيل
قل للذين رموا هذا الكتاب بما لم يتفق معه شرح و تأويل
هل تشبهون ذوي الألباب في خلق إلا كما تشبه الناس التماثل
فاعزوا الأباطيل للقرآن وابتدعوا في القول هيهات لا تجدي الأباطيل"[2]

و على إثر هذا "يقر الشاعر محمد العيد باستحالة التأثير على القرآن أو تحريفه كما حرف اليهود و النصارى التوراة و الإنجيل ، يُعرّض الشاعر بأعداء الدين فيرسم لهم صورة ساخرة فهم تماثيل صماء ليس لها من خصائص الآدمية إلا الشكل، و يتحداهم بأن ينسبوا إلى الإسلام ما شاءوا، فلن يزيده ذالك إلا قوة واستحكاما"[3]

[1] إبراهيم لقان، قضايا الالتزام في الشعر الجزائري الحديث، محمد العيد آل خليفة نموذجا، (مجلة العلوم الإنسانية) العدد44 الجزائر،2005 ، ص84

[2] ديوان محمد العيد، ص 81

[3] المرجع السابق ، ص 85

يقول:

"ما بال« أشيل» في « الدبيش» يسخر من ءايات محكمه. لا كان أشيل؟!
ما بال آشيل يهذي في مقالته كحاكم رعاه في النوم تخييل؟
ما بال آشيل يزري المسلمين وهم غر العرائك أنجاب بهاليل؟
أفكارهم بهدى القرآن ثاقبة فلا يخامرها في الرأي تضليل"[1]

ومن جهة أخرى كان محمد العيد يحارب بلسانه و بقلمه و كل ما أوتي من علم الطوائف المنحرفة التابعة للاستعمار التي تسعى إلى نشر الانحلال و الخرافات في وسط الشعب الجزائري،"فأصبح لزام على الحركة الإصلاحية أن تقود حربا ضد هذا الوضع بوسائلها المعروفة و ترسانتها من الكتاب والشعراء والخطباء ، وكان الشعر إحدى أدواتها ووصل الصراع بين الطرفين إلى قمته فقد تعرض ابن باديس إلى محاولة اغتيال عند خروجه من (الجامع الأخضر) بقسنطينة من طرف أحد الأتباع الطريقة العليوية".[2]

إلا أن الرعاية الإلهية حالت دون ذالك ، و على إثر هذه الحادثة نظم محمد العيد أبيات شعرية جاء فيها:

"حمتك يد المولى و كنت بها أولى فيالك من شيخ حمته يد المولى
و أ خطأك الموت الزؤام يقوده إليك امرؤ أملى له الغي ما أملى
فيا لوضيع النفس كيف تطاولت به نفسه حتى أسرَّ لك القتلا"[3]

[1] ديوان محمد العيد، ص 82

[2] إبراهيم لقان، قضايا الالتزام في الشعر الجزائري الحديث، محمد العيد آل خليفة نموذجا، ص 85

[3] المرجع السابق، ص 117

كما وصف الشاعر محمد العيد هؤلاء المعتدين "بالأيدي الآثمة الشريرة التي يحركها المستعمر، و يتحداهم أن يأتوا بدليل يجيز فعلهم الشنيع ، و يثبت لهم أن أعمالهم لا علاقة لهم بالإسلام".[1]

وفي هذا الصدد يقول:

"ولـم يلبث الأشرار حتى تآمروا عليه فلم يألوه من شرهم خبلا
أرادوا به الفتك الذريع شماتة وما كان للفتك مراد به أهلا
فهل كان هذا شأن من يدعي التقى؟ وهل كان هذا شأن من يدعي الوصلا؟!
أما كان إزهاق النفوس محرما على القوم أم ظنوا النفوس لهم حلا
إذ كنتم يا قوم بالحق قادة فأدلوا ببرهان إليه كما أدلى
تنحلتم يا قوم فعل محمد وما فيكم من كان يشبهه فعلا
وحملتم يا قوم هدي محمد من الزيغ أقوالا ينوء بها حملا
فصورتم الإسلام كالليل قاتما من الزيغ والإسلام كالصبح أو أجلى"[2]

و كان لمحمد العيد العديد من القصائد الشعرية التي ألقاها في مناسبات مختلفة يعبر فيها عن القيم السامية للدين الإسلامي ، و يعبر فيها أيضا عن قدوة السلف الصالح كما جاء في قصيدة (تحية المسلم الجديد) وقد قيلت هذه القصيدة بمناسبة إسلام شاب فرنسي يدعى (بنوا) وبعد إسلامه أطلق عليه اسم(سفيان).

يقول :

"زفت إليك عرائس الإلهام فطرحت عنك بوالي الأوهام
وبحثت في الأديان بحثا منصفا فجنحت بعد البحث للإسلام

[1] إبراهيم لقان، قضايا الالتزام في الشعر الجزائري الحديث، محمد العيد آل خليفة نموذجا، ص 86
[2] ديوان محمد العيد، ص 118.117

هذا هو الكنز الدفين كشفته ببصيرة نفذت وفكر سامي
(بنوا) لقد ابتليت في حرب الهوى حسنا وما باليت باللوام
ونصرت في باريس دين محمد بصراحة برئت من الإبهام"[1]

ويقول أيضا:

"إسلام(بنوا) حجة قامت على أسرى العقول مضللي الأفهام
المسلمين الساخرين بدينهم تبعا لما كفروا من الأعجام
الساقطين هوى على شهواتهم صرعى كما من عكفوا على الأصنام
لو أنهم فحصوا الأدلة لاهتدوا في بحثهم لفواصل الأحكام"[2]

كما عبر في هذه القصيدة عن مكانة(سلمان الفارسي) و(صهيب الرومي) و(بلال الحبشي) في الإسلام يقول:

"(سلمان) فاق الفرس أجمعهم به و(صهيب) فاز به على الأروام
وبلال ساد به على الأحباش ما دوى الآذان بمطرب الأنغام" [3]

ويعد الخطاب الشعري الإصلاحي لمحمد العيد بمثابة مرجع ديني للأمة العربية كإحياء المناسبات الدينية و الاهتمام بركائز الدين الإسلامي ، وفي هذا المقام يقول صالح خرفي: " يحلق محمد العيد في الآفاق البعيدة للرسالة السماوية والمواقف البطولية لظهور الإسلام، و التركيز في حياة محمد صلى الله عليه وسلم على جانب الجهاد ، و الوقوف مليا عند فتوحاته، وتلك هي مطامح الشعب الجزائري، وهو يعاني من التحكم الأجنبي".[4]

---

[1] المرجع السابق ، ص 197
[2] المرجع نفسه ، ص 198
[3] المرجع نفسه ، ص 197
[4] شارف لطروش،الشعر الديني عند محمد العيد آل خليفة ، ص68

ومن المناسبات التي خلدها الشاعر قصائد (المولد النبوي الشريف) يقول في قصيدته (ذكرى المولد النبوي) :

"ألا أنعم أيها النادي بذكرى مولد الهادي
لقد جئناك ورادا على آثار ورادا
وقمنا في مسرات وأفراح وأعياد
نحيي خير مولود بدا في خير ميلاد
نحيي سيدا في الخلـ ـق ، متبوعا بأسياد
نحيي مرشدا لم يبـ ـغ ،منهم أجر إرشاد"[1]

ويضيف قائلا في أنشودة الوليد:

"بمحمد أتعلق وبخلقه أتخلق
وعلى البنين جميعهم في حبه أتفوق
نفسي الفتية دائما من حبه تتحرق
وجوانحي مهتاجة و ومدامعي تترقرق
مالي وللعب التي تختار لي وتنسق
إن التعلق بالرسو ل ودينه بي أليق"[2]

ويرى أبو قاسم سعد الله أن محمد العيد في تناوله "لهذا الموضوع لا يقتصر فيه على الناحية الدينية التي ترمز لها الحادثة فحسب، بل يتعداها إلا المقارنة بين عهدين قديم و جديد أو يشتكي من الجديد وتهاونه في شؤون الدين إلى القديم".[3]

[1] ديوان محمد العيد ،ص 72

[2] المرجع نفسه، ص 154

[3] هيبة مسعي، التجربة النقدية لأبي قاسم سعد الله من خلال كتابه محمد العيد آل خليفة، ص34

كما تناول محمد العيد في خطابه الديني الإسلامي ونخصص بالذكر منها:

1- الصلاة

"أيها التارك الصلاة إبن لي أي عذر له تركت الصلاة
أي عذر له تركت الصلاة تكسب العبد خشية وأناة
أغرورًا تركتها أم نفورًا أم كفورًا أم سخطةً أم شماتا؟
كل يوم تقول سوف أصلي سوف أقضي من فرضها ما فاتا
هكذا ينقضي زمانك ليلا ونهارا تؤجل الأوقاتا"[1]

يوجه "محمد العيد"خطابه لتاركي الصلاة ،كما دعا الناس لفعل الخير، والمحافظة على الصلاة فبصلاة يقوم الدين، كما نجد يحث على قيام الليل والاستغفار في وقت السحر لذلك لما فيه من تربية روحية للنفس المؤمنة يقول:

"قيام الليل حلية كل بر بباب الله قام له خديما
إذا جن الظلام عليه أغفى وقام يسابق الليل البهيما
بنافلة يطيل بها قياما وقرآن يرتله قويما
مضى متهجدا كالنجم يسري وجد يسبح الله العظيما
تضن بسره سود الليالي وتضرب حوله سترا جسيما
تناجيه الملائك في دجاها وترضى أن يكون لها نديما
فيا ابن الليل بار النجم واقطف جنى الأسحار وأغنمها نسيما"[2]

[1] ديوان محمد العيد ، ص 249

[2] المرجع نفسه، ص 257

2-الزكاة:

يـذكر الشـاعر ركـن الزكـاة وفوائـدها علـى الفـرد والمجتمـع ، ودرجـة الأجـر العظـيم الـذي يكسـبه مؤديـه كالبركـة والسـعة فـي الـرزق والنجـاة مـن عـذاب جهنم، كمـا ذكـر بالعقـاب الذي يناله تاركها ومانعها يقول:

"إن فرض الزكاة يدعوك فاسمع صوت إنذاره ورد الجوابا
فكأني بك اخترمت بموت خاطف بعده تلاقي الحسابا"[1]

ويقول أيضا:

"قم فقدم زكاة مالك وارقب بركات الزكاة وارج الثوابا
قم فقدم زكاته فهي أرجى لك من كنزه وأنجى مآبا"[2]

3-رمضان:

تحدث محمد العيد في شعره عن مناسبة دينية أخرى وهي رمضان من خلال قصيدته (وداعا رمضان) ذكر الشاعر فضائل رمضان ، كضبط النفس وتربيتها على ترك الشهوات والمعاصي، يقول الشاعر محمد العيد:

"الصوم لنفس عرش من جوانبه فاضت بوادر خير دونها البدر
أظل دارا سنها مشرق أبدا لو لم يغطن سناها المشرق المدر
الصوم للملاء العلوي مرتفع والفطر للملاء السفلي منحدر"[3]

[1] المرجع السابق ، ص 250
[2] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها
[3] المرجع نفسه ، ص 338

ويقول أيضا:

"وقد صاموا عن الشبهات لا عن شرابهم فحسب أو الطعام.
فعفوا عن مقاربة التعدي وكفوا عن مفارقة الأثام"[1]

كما جاءت هذه القصيدة للتذكير بالفقراء والضعفاء المغلوب على أمرهم، فيذكر المجتمع الجزائري بالفقراء الذين يجوبون الشوارع ، ويطوفون على المزابل ، ويطوفون البيوت ، ويسألون المارة من أجل لقمة العيش:

"فيا ويح الفقير يضيع جوعا وليس له من الأقوام حامي
يطوف على المزابل حيث يرجو فُتَات الخبز أو قطع العظام
ولولا الجوع لم ينبش قماما ولم يشتق إلا ما في القمام
وقد يطوى الأزقة مستميحا فيحرمه الحطام ذوو الحطام"[2]

ومن خلال ما تطرق إليه محمد العيد آل خليفة يرى سعد الله " أن مأساة الإنسان الجائع في الجزائر أوحت إلى الشاعر وآثاره بهذا الشعر النابض.

لولا رمضان وجوعه وعطشه وحرمانه لما كانت تجربة صادقة لهذا الحد"[3]

4-الحج

تناول محمد العيد في شعره مناسبة دينية عظيمة يبجل فيها شعائر الحج و" نحن نعلم أن الحج يعد إحدى الدعائم الدينية والاجتماعية الكبيرة ، ألا أنه بعض الشعراء الغزليين والماجنين ينظرون إلى الحج وسيلة للترفيه واللهو وملتقى الأحبة والعشاق، أما نظرة محمد العيد حسب سعد الله للحج هو وسيلة إلى الوحدة والتفاهم وسبيل إلى نشر اللغة العربية".[4]

---

[1] المرجع السابق ، ص 142

[2] المرجع نفسه ، ص 144

[3] هيبة مسعي، التجربة النقدية لأبي قاسم سعد الله من خلال كتابه محمد العيد آل خليفة، ص37

[4] المرجع نفسه ، ص 38

كما نجد أن الشاعر محمد العيد يتحدث في قصيدته (الترحيب بالحجاج)عن عودة الحجاج الميامين من أرض طيبة مباركة يقول:

"حباكم بحج البيت أكرم من حبا فأهلا وسهلا بالحجيج ومرحبا
حباكم بحج البيت جاعل ركنه قيما لمن بالحج فيه تقريبا
حباكم بحج البيت باسط ظله أمانا لمن خاف الردى حين أذنبا
ذهبتم وجئتم ظافرين بمأرب شريف وجل الناس ينحط مأربا
طويتم له الأبعاد فوق مسخر من النار والفولاذ هيئ مركبا"[1]

كما يهنئ الشاعر في أبيات من هذه القصيدة بقبول التوبة يقول:

"ويا أيها الإنسان إنك كادح إلى الله كدحا ما خلقت لتلعبا
فإن طبت سعيا تلقه عنك راضيا وإن سؤت سعيا تلقه عنك مغضبا
وحولك آفات من الخلق جمة تنوشك فاحذر أن تصاب وتعطبا
ومن فر من بعض العباد لبعضهم فقد فر من أفعى ليقرب عقربا
فكن هاربا منهم إلى الله وحده ولم أر غير الله للمرء مهربا"[2]

ومن خلال هذه الأبيات المقدمة في تقديس شعائر الحج يرى سعد الله " أن الشاعر محمد العيد متشبع بالروح الدينية ، والتقى والورع يحب الخير للجميع وينصح الشباب للتمسك بالدين ، والحفاظ على العقيدة لأنها حبل اعتصامه وقوته وحدته وعزته".[3]

ولم ينحصر الشعر الديني عند" محمد العيد آل خليفة" في تصحيح الإعتقاد بل شمل الأخلاقيات ، فالأخلاق أساس المجتمع الإسلامي، وهي من أسباب صلاحه وهذه الفكرة

[1] ديوان محمد العيد آل خليفة ، ص 180

[2] المرجع نفسه ، ص 182

[3] هيبة مسعي، التجربة النقدية لأبي قاسم سعد الله من خلال كتابه محمد العيد آل خليفة، ص39

الإصلاحية من بين أهم الأفكار التي طرحها محمد العيد آل خليفة في خطابه الشعري بعد ما انتشرت أم الخبائث(الخمر).

"**الخمر شربة رجس أم أرجاس**	**الخمر صاعقة تهوي على الراس**
الخمر محنة سوء من أصيب بها	**أصيب في كل وعي منه حساس**
الخمر فاس خراب هدمت أسرا	**مصونة عاث فيها صاحب الفاس**
يا شارب الخمر ما ترجوه من دون	**للعرض غول عقول لص أكياس**
ما الخمر إلا ظلام للنفوس فلا	**يغررك منها شعاع لاح في الكاس**"[1]

وقد ضمن الشاعر في خطابه بعض المعاني من القرآن الكريم ، كما جاء في قوله تعالى:"**يَا أَيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الْشَّيْطَانِ فَاجْتَنبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**"[2] سورة المائدة ، الآية90

كما وصف هذه القصيدة " الخمر بأبشع صورها حتى ينفر النفوس منها و يحث على تركها ، فاستعمل أسلوب التكرار من أجل تأكيد التصاق بصفة بالموصوف ، ويكررها ست مرات في المقطع نفسه.

وهذه التقنية يلجأ إليها الشعراء من أجل زيادة لفت الانتباه والتأكيد على فكرة واحدة ، فالخمر رجس وأم أرجاس وهي محنة سوء وظلم للنفوس."[3]

سعى الشاعر إلى إيقاظ الوعي الفكري من خلال الترغيب في التعليم ومحاولة القضاء على الجهل، فدعا إلى بناء المدارس والمعاهد والأندية والجمعيات التي تخدم الأهداف الوطنية

---

[1] ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 256

[2] سورة المائدة ، الآية90

[3] حميدة قدوم، إسهامات الشاعر محمد العيد في تحقيق البنية الإصلاحية "مختارات من شعره، حوليات جامعة قالمة للغات والآداب ،قالمة ،الجزائر، العدد12،2015 ص186

وتساهم في الدفاع عن الهوية والانتماء العربي الإسلامي، يقول في قصيدة نظمها بمناسبة افتتاح مدرسة(دار الحديث بتلمسان) سنة1937:

"أحيي خير مدرسة بناها خيار في معونتهم خيار
(تلمسان) احتفت بالعلم جارا وما كالعلم للبلدان جار
لقد لبست من الإصلاح تاجًا يحق به لأهاليها الفخار
فكان له بها نصر وفتح وكان له ذيوع واشتهار
لقد بعث(البشير)لها بشيرا بمجد كالركاز بها يثار
وفي (دار الحديث) لها صوان بديع الصنع مصقول منار"[1]

كما دعا الشعب الجزائري لنيل العلوم من مختلف المعارف، فالعلم نجاة وسبيل الأمم إلى التقدم والازدهار" وما الجهل إلا قيد من القيود التي تعيق تقدم المجتمعات لأن الشعراء جميعهم أرادوا أن يحيوا حياة سعيدة حرة وشريفة ناعمة، فكان شعره كله حماسة وثورة، ثورة على الجهل والفقر والحياة الاجتماعية القذرة، ثورة على العدو وما يرون من أذى"[2].

يقول محمد العيد في قصيدة ألقاها سنة 1928 حين كان معلما آنذاك:

"العلم صرح مجادة وسعادة ومن التعلم شيد ركن قوامه
والعلم لما تنحصر أفهامه فتنافسوا يا قوم في أفهامه
العلم أعمال تزاول لا منى تنوى فسيروا في هدى أعلامه
ولرب غر ظل يرقب ليله يرجو استقاء العلم من أحلامه"[3]

[1] ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 77.76

[2] حميدة قدوم، إسهامات الشاعر محمد العيد في تحقيق البنية الإصلاحية "مختارات من شعره ، ص 189.188

[3] المرجع السابق ، ص 85

ومـــن خـــلال مـــا ســـبق ذكـــره يمكننـــا القـــول أن الخطـــاب الشـــعري الـــديني لمحمد العيد آل خليفة " كان عاملا من عوامل التعبئة العامة من أجل الجهاد في سبيل الحرية والاعتزاز بالدين والإخلاص للعقيدة الدينية سمة بارزة يتميز بها الشعر الجزائري الحديث وبعبارة أخرى شعر الثورة الجزائرية التي كانت قائمة عل مبادئ الإسلام في جميع أهدافها وخططها، والشعراء استمدوا من الدين القيم والمثل العليا التي حاولوا بعثها في نفوس الشعب الجزائري" [1]

[1] فاطمة قادرى ، الشعر الإسلامي عند محمد العيد، **مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها**، فصلية محكمة إيران العدد18 ،2011 ، ص65.64

خاتمة

خـاتــمــة

في الختام كان بحثنا هذا عبارة عن دراسة قضية من قضايا النقد الأدبي الجزائري الحديث المتمثلة في الالتزام في النقد الجزائري الحديث ، التي كانت تهتم بقضية المجتمع الجزائري من خلال الخطابات الشعرية و الروائية والقصصية ، وقد توصلنا من خلال هذه الدراسات إلى نتائج تمثلت في:

1- تعدد المفاهيم اللغوية و الاصطلاحية الالتزام نابع من البيئة اللغوية التي عرفت نشأة المصطلح.

2- ظهر مصطلح الالتزام في العصر الحديث في الغرب مع الفلسفة الاشتراكية و الوجودية حيث أنه لم يكن معروف بشكل في العصر القديم مع العهد اليوناني.

3- في الأدب العربي الحديث ظهر مصطلح الالتزام خال القرن العشرين من خلال النكبات و النكسات التي أصابت العرب.

4- الالتزام في الفكر الماركسي مبني على نقل واقع المجتمع عن طريق الفنون الأدبية و الغير الأدبية.

5- الالتزام في الفكر الوجودي مبني على نقل الأحاسيس من دائرة الشعور إلى دائرة التفكير.

6- اقتصرت الفلسفة الوجودية على أن يكون الالتزام ضمن دائرة الخطاب النثري فقط أما غيره فلا يصلح أن يوصل رسالة الأديب الملتزم خصوصًا الشعر لأن كلماته لا تستطيع التعبير عن المعاني التي تكون في صورة ألم و حزن.

7- الالتزام في الفكر الإسلامي مصدره الأول القرآن ، فالقرآن حث على المسلم الالتزام بقواعد الدين و القيم الإسلامية ، فالالتزام في المفهوم الإسلامي لا يلزم الأديب المسلم بأن يلتزم مكرهًا.

8- ظهر الالتزام في الخطاب الأدبي العربي مع ظهور العمل الإبداعي تزامنًا مع فترة الاستعمار و ما بعد الاستعمار، حيث ظهرت بعض الخطابات الأدبية المتأثرة بالثورة

9- ظهر الالتزام في النقد الجزائري عندما خاض النقاد الجزائريين في المناهج النقدية السياقية ، و خاصة النقد الاجتماعي.

10- من أهم الرواد الذين درسوا قضية الالتزام في النقد الاجتماعي محمد المصايف و عبد الله الركيبي، كما نجد كذلك واسيني الأعرج الذي تطرق للالتزام من خلال دراسته و روايته.

11- يعد محمد العيد آل الخليفة من شعراء الجنوب الجزائري الذين تناولوا قضية الالتزام في قصائده الشعرية و المجموعة تحت ديوان باسمه.

12- تعدد موضوعات الالتزام في قصائد محمد العيد نابع من إطلاعه و سعة ثقافته في المجال الديني و الاجتماعي و السياسي و امتلاكه للضمير الوطني و الانتماء القومي.

ملحق

ديوان

محمد العيد آل خليفة

دار الهدى
عين مليلة – الجزائر

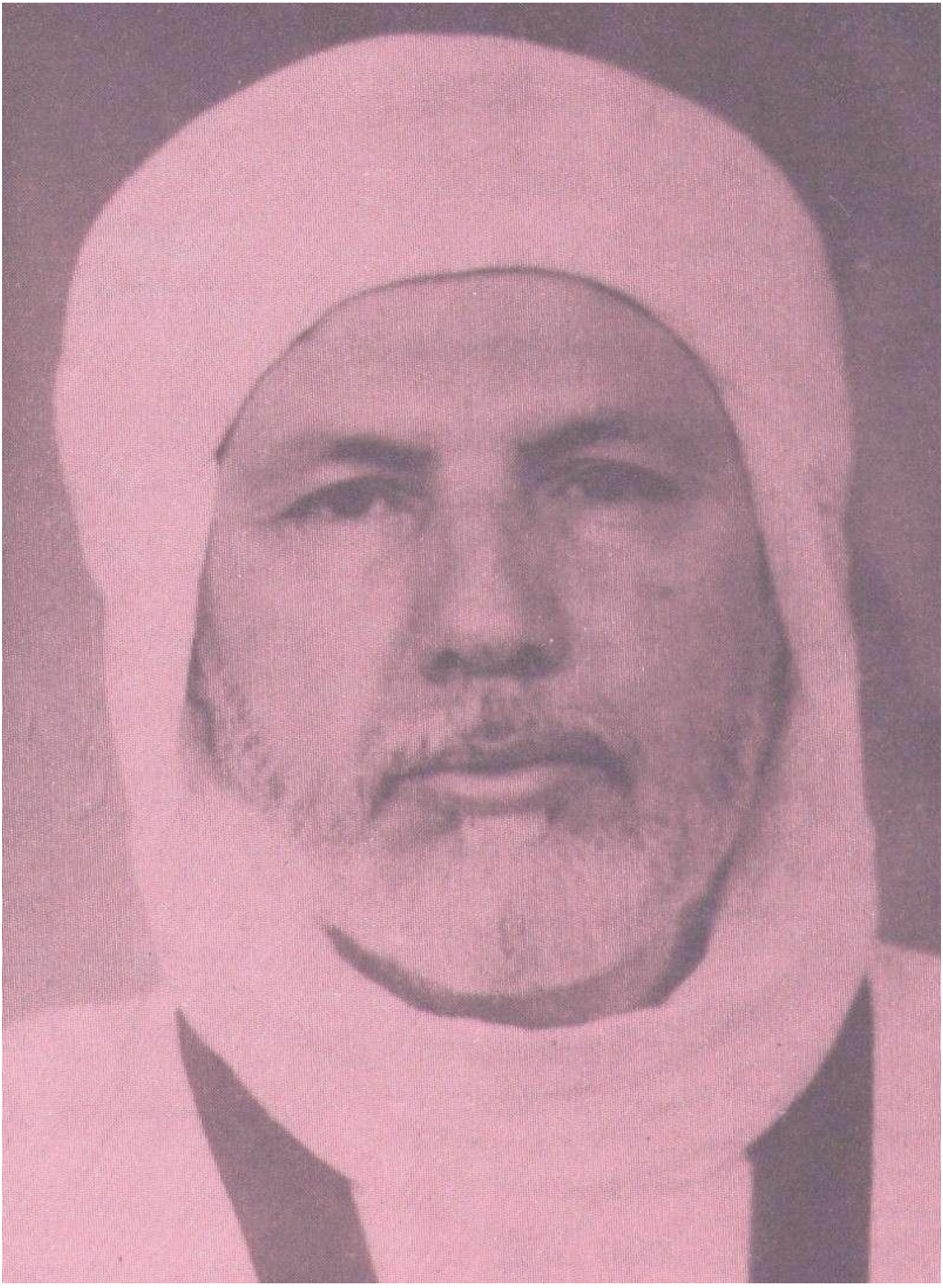

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم

المصادر

1- ديوان محمد العيد آل الخليفة ، دار الهدى الجزائر، ب ط، سنة 2010

المراجع

2- ابن منظور لسان العرب مادة لزم، دار المعارف ، بيروت ، ب ط

3- أبو إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، م3 ، دار ابن الحزم، بيروت ، لبنان ط1 ، 2002

4- أبو قاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري ط2 ، 1985

5- إحسان عباس ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، ط3، دار الشروق للنشر و التوزيع الأردن ، 2001

6- أحمد أبو حاقة ، الالتزام في الشعر العربي ، دار العلم للملايين، ط1، 1979

7- أحمد طالب ، الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة ، (1931-1976) ديوان المطبوعات الجزائرية الجامعية، دار المريخ، د ط، 1984

8- أزراج عمر، أحاديث في الفكر و الأديب، دار البعث ، الجزائر ، ط1 ،1984

9- بدوي طبانة ، قضايا النقد الأدبي ، دار المريخ للنشر ، ب ط ،1989

10- بونوداني ، الأدب و الالتزام (من باسكال إلى سارتر) ت:محمد براودة ، المجلس الأعلى للثقافة مصر، ط1 ، 2005

11- جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان ، ط2، 1984م

12- حسين مروة ، دراسات نقدية ، دار الفارابي القاهرة ، ب ط، 1976

13- صالح خرفي، صفحات من الجزائر،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ،ط1 ،1972

قائمة المصادر و المراجع

14- صباح لخضاري، النقد الأدبي الحديث بين أزمة المنهج والبحث عن التأصيل المركز الجامعي النعامة ، الجزائر

15- عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث،الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس،1978

16- عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر (قضاياه و ظواهره الفنية و المعنوية) المكتبة الأكاديمية ، مصر، ط5 ، 1994

17- عماد الدين خليل ، مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، ط1 ، دار ابن كثير دمشق،2008

18- عمار بن زايد ،النقد الأدبي الحديث،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري بـ ط،1990

19- عمار زعموش ،النقد الأدبي المعاصر قضاياه و اتجاهاته ، مطبوعة جامعة منتوري قسنطينة الجزائر 2000 -2001

20- لخضر لعرابي ،الأدب الإسلامي ، ماهيته ومجلاته ، دار العرب للنشر والتوزيع وهران ب ط،2003.

21- محمد البشير الإبراهيمي، آثار الشيخ الإبراهيمي ، الشركة الوطنية ، الجزائر ج1

22- محمد التونجي ، المعجم المفصل في الأدب ، ح2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط2 1999

23- محمد مصايف ، النثر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ب ط،1983

24- محمد مصايف ، النقد الأدبي الحديث، في المغرب العربي ، الشركة الوطنية الجزائر ، د ط 1979

25- محمد مصايف ، دراسات في النقد والأدب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ب ط ،1981

26- مخلـوف عـامر ، مظـاهر التجديـد فـي القصـة القصـيرة فـي الجزائـر، دار الأمـل تيزي وزو الجزائر، ط2 ، 2008

27- معجـم الوسـيط ، مجمـع اللغـة العربيـة ، مكتبـة الشـروق الدوليـة ، القـاهرة ، مصـر ط 4 ،2008 مادة لزم

28- وهبة مجدي ، الخطيب كامل ، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، مكتبة لبنان ط2 1984م

29- يوسف وغليسي ،النقد الجزائري المعاصر من اللاسونية إلى الألسنية ، رابطة الإبداع الثقافية الجزائر، ب ط ، 2000

الرسائل الجامعية

30- إبراهيم لقان ،ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر الخليفة"دراسة فنية" رسالة ماجستير كلية الآداب واللغات جامعة منتوري ، قسنطينة

31- بن مرزوق نجوى ، ظاهرة الالتزام في شعر محمد بلقاسم خمار ، رسالة ماستر كلية الآداب و اللغات ، جامعة المسيلة 2014/2013

32- جواد إسماعيل عبد الله الهيثم، الالتزام في الشعر الإسلامي الفلسطيني المعاصر رسالة ماجستير، كلية الآداب ، جامعة الإسلامية ، غزة ، فلسطين، 2010 ـــ 2011

33- رابح طبجون ، التجربة النقدية عند عبد الله الركيبي، رسالة ماجستير ،كلية الآداب واللغات جامعة منتوري ، قسنطينة،1999

34- رزاق بعرة مروة ، النقد الاجتماعي عند المصايف، من خلال كتابه الرواية العربية الجزائرية بين الواقعية والالتزام ، رسالة ماستر ، كلية الآداب واللغات،جامعة قاصدي مرباح ورقلة 2015،2016

35- عبد الصدوق عبد العزيز، واقع النقد الأدبي الحديث والمعاصر، رسالة ماجستير كلية الآداب واللغات والفنون ، جامعة السانيا، وهران ، 2010-2011

36- عبد الله قرين، النقد الأدبي في الجزائر1830-1982، رسالة ماجستير ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة حلب سوريا 1987

37- محمد ساري ، النقد الأدبي ومناهجه وتطبيقاته عند محمد مصايف، رسالة ماجستير معهد اللغة والأدب العربي جامعة الجزائر ، الجزائر1992-1993

38- محمد ساري ،النقد الأدبي مناهجه وتطبيقاته عند الدكتور محمد مصايف ، رسالة ماجستير معهد اللغة والأدب ، جامعة الجزائر ،1992 – 1993

39- هيبة مسعي ، التجربة النقدية لأبي قاسم سعد الله من خلال كتابه (محمد العيد آل خليفة) دراسة ونقد ، رسالة ماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي ، أم البواقي 2015.2014

المجلات

40- سيد سيد عبد الرزاق ، مصطلح الالتزام في النقد الإسلامي المعاصر: دراسة في المفهوم ومجالات الاستخدام مجلة إسلامية المعرفة ،أسيوط ، مصر، السنة 15،العدد 58، خريف 2009م

41- إبراهيم لقان ،قضايا الالتزام في الشعر العربي الحديث(محمد العيد آل خليفة أنموذجا) مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الإخوة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر، العدد 44 ، ديسمبر 2015

42- ظاهر محسن جاسم ، ظاهرة الالتزام في الأدب الإسلامي ،مجلة ينابيع، كلية الآداب جامعة الكوفة ، العراق ، العدد 25، رجب شعبان 1429هـ

43- لخضر العرابي، مفهوم الالتزام في الأدب الإسلامي، مجلة الأثر، كلية الآداب و اللغات جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة الجزائر، العدد 04 ماي2005م

44- حسين قادوم ، إسهامات الشاعر محمد العيد أل الخليفة في تحقيق البنية الإصلاحية (مختارات من شعره) (حوليات جامعة قالمة للغات و الأدب) جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي العدد 12 ، ديسمبر 2015 م

45- جمال قديد ، تاريخية النقد الجزائري الحديث، مجلة الآفاق للعلوم ، الجلفة ،العدد5 ،2016

46- رابح طبجون ، النقد الأدبي مناهجه وقضاياه عند الدكتور عبد الله الركيبي ، مجلة المعيار الجزائر، العدد12

قائمة المصادر و المراجع

47- خلف الله بن علي ، التجربة النقدية لدى محمد مصايف ، مجلة الدراسات المعاصرة العدد1 ،المجلد3 ، ألسنة و مختبر الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة، المركز الجامعي تسمسيلت الجزائر،جانفي 2015.

48- خلف الله بن علي ، تطبيقات النقد الاجتماعي في النقد ألجزائري : قراءة في المصطلح و الخطاب الإيديولوجي ، جسور المعرفة ، معهد الآداب و اللغات ، المركز الجامعي تسمسيلت ، الجزائر ، العدد03 ، المجلد 04، 2018

49- علي عدالتي نسب، الفكرة السياسية في شعر محمد العيد آل خليفة ، مجلة آداب البصرة ،العدد 83 ،2018

50- شارف لطروش، الشعر الديني عند محمد العيد آل خليفة ، (مجلة حوليات التراث) العدد الثاني،الجزائر2004

51- إبراهيم لقان، قضايا الالتزام في الشعر الجزائري الحديث، محمد العيد آل خليفة نموذجا مجلة العلوم الإنسانية العدد44 الجزائر،2005

52- فاطمة قادرى ، الشعر الإسلامي عند محمد العيد، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها فصلية محكمة إيران العدد18 ،2011

53- حميدة قدوم، إسهامات الشاعر محمد العيد في تحقيق البنية الإصلاحية "مختارات من شعره حوليات جامعة قالمة للغات والآداب ،قالمة ،الجزائر، العدد12،2015

المواقع الالكترونية

54- الالتزام في الأدب، https://www.marefa.org/

55- رمضان الصباغ ، الالتزام في الأدب و الفن ، بين سارتر و الماركسية، الحوار المتمدن العدد8،1424جانفي2006
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=54266&r=0

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمـة..... أـ ب

مدخل.....

الفصل الأول: المفاهيم المعرفية و الفكرية للالتزام 09

المبحث الأول : المفهوم اللغوي و الاصطلاحي للالتزام..... 09

1) المفهوم اللغوي للالتزام 09

2) المفهوم الاصطلاحي للالتزام.....10

المبحث الثاني : الالتزام في الفكر الغربي و العربي الحديث..... 12

1) الالتزام في الفكر الغربي الحديث..... 12

أـ الالتزام في الفلسفة الاشتراكية الماركسية..... 12

ب- الالتزام في الفلسفة الوجودية..... 15

2) الالتزام في الفكر العربي الحديث..... 21

أ ـ الالتزام في الأدب الإسلامي..... 21

ب ـ الالتزام في النقد الجزائري الحديث..... 27

الفصل الثاني : الالـتزام في خطــاب محــمد العيـد آل الخليـفة.....

المبحث الأول : محمد العيد آل الخليفة نشأته و ثقافته..... 45

1) نشأته.....45

2) ثقافته.....46

فهرس الموضوعات

المبحث الثاني : محاورالالتزام في شعر محمد العيد آل الخليفة.....49
1) الالتزام الاجتماعي.....50
2) الالتزام السياسي.....60
3) الالتزام الديني 72
خاتمة.....88
قائمة المصادر و المراجع.....94
ملحق.....91
فهرس الموضوعات..... 100